

سلسلة الأدب

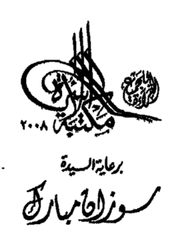
بلقيس في رحلة التيه وعريس بنت السلطان

مسرحيتان

محفوظ عبد الرحمن



بلقيس في رحلة التيه
وعريس بنت السلطان



برعاية السيدة

سوزان مبارك

المشرف العام

د . ناصر الأنصاري

الجهات المشاركة

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

المجلس القومي للشباب

وزارة التنمية الإقتصادية

تصميم الغلاف

د . إيناس حسني

التنفيذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

بلقيس في رحلة التيه
وعريس بنت السلطان

مسرحيتان

محفوظ عبد الرحمن

بلقيس فى رحلة التيه وعريس بنت السلطان

لوحة الغلاف للفنان: حلمى التونى

كإضافة جديدة لمكتبة الأسرة قدمنا على غلاف كل كتاب لوحة تشكيلية لفنان مصرى معاصر من مختلف المدارس والأجيال وهذه اللوحات لا تعبر بالضرورة عن موضوع الكتاب.

وتتقدم مكتبة الأسرة بالشكر لقطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة ومتحف الفن المصرى الحديث على هذا التعاون.

عبدالرحمن ، محفوظ .

بلقيس فى رحلة التيه وعريس بنت السلطان؛ مسرحيتان/ محفوظ عبدالرحمن.. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.

١٨٢ ص ؛ ٢٠ سم.

تدمك : ٨ - ٤٢١ - ٤٢٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨.

١ - المسرحيات العربية .

أ - العنوان .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٢٤٩ / ٢٠٠٨

I.S.B.N 978-977-420-421-8

ديوى ٨١٢

توطئة

منذ ثمانية عشر عامًا انطلق مهرجان القراءة للجميع على جناح فكرة أن الكتاب هو عماد المعرفة الرئيسى، والثقافة الرفيعة، وأن الكتاب ينفرد عن غيره من أدوات التثقيف ومصادر المعرفة بقدرته على تنمية الفكر وصنع العقول المستنيرة، وتكوين الشخصيات المتميزة، وفتح آفاق الاستنارة أمام الملايين، والإسهام فى تشكيل وجدان الأمة، وحفظ تراثها، والوصول إلى رؤى مستقبلية لنهضتها.

ولقد حرصت مكتبة الأسرة طوال أعوامها السابقة كرافد رئيسى للمهرجان على تحقيق الهدف النبيل من تأسيسها.. ذلك الهدف الذى تحدد فى طرح العبقرية الإبداعية والفكرية والعلمية للمجتمع المصرى المعاصر، وفتح نوافذ على الفكر والإبداع العالمى، وإقامة جسور بين الحضارات المختلفة، والتعرف على ثراء التاريخ الفرعونى والإسلامى، وأخيرًا تحفيز الأجيال الجديدة على القراءة حتى تصبح عادة، بل ضرورة ملحة تترسخ أهميتها فى الأذهان من خلال كتب عظيمة الفائدة، تباع بأسعار رمزية فى متناول الملايين.

ولأن وصول الكتاب إلى كل مكان فى مصر سيظل حلم السيدة الفاضلة سوزان مبارك، راعية القراءة للجميع. فلقد أعلنت هذا العام مبادرتها الجديدة بإهداء مليون كتاب مجانًا للمجتمع. ولأن مهرجان القراءة للجميع يتخذ شعارًا مختلفًا كل عام يتواءم مع الرسالة التى

يهدف إلى تحقيقها وتنوعها وتطورها عامًا بعد عام، فإن مكتبة الأسرة تتخذ توجهًا عامًا فى اختياراتها للكتب، يستهدف دائمًا تحقيق وعى عام متجدد يطور القوى الاجتماعية، ويقوم على منظومة قيم تتلخص فى تعميق دور العلم والتفكير العلمى، وتعزيز الديمقراطية، والتعددية وترسيخ قيمة المواطنة والانتماء والمشاركة والمسئولية، ودور مؤسسات المجتمع المدنى، وتأكيد قيمة التسامح وثقافة السلام، وترسيخ قيمة دور المرأة، وقيمة التجدد الثقافى والتفكير النقدى والحوار والتبادل والتواصل المجتمعى والدولى، وإبراز تواصل الإبداع المصرى. ولقد تم استحداث قيمة جديدة هذا العام هى تعزيز تجليات الوطن وقضاياه، وذلك لمواجهة متغيرات خرائط الصراع المضاد، الذى يسعى إلى التفتيت بإشعال الفتن والانقسامات التى تحول الانتماء الوطنى إلى ولاءات لأعراق وعقائد ومذاهب، وفق تصنيفات قاطعة تعمل على تعبئة الناس وقولبتهم لكى تضعهم فى موقف التضاد بعضهم لبعض على سبيل الاستبعاد والاستعداء للنيل من سيادة الدولة الوطنية، وانتهاك دعمها للمواطنة والديمقراطية والمجتمع المدنى ومشروعية التعايش، ولذا ستظهر تجليات الوطن وقضاياه وتتجسد فى الإبداعات التى ستطرحها مكتبة الأسرة هذا العام.

لقد نهض صرح مكتبة الأسرة على أعمدة المكتبة العربية، وثراء تحفها الإبداعية والفكرية، واكتشاف الأقلام الموهوبة الشابة، فالتف الجميع حوله كواحد من أكبر المشاريع الثقافية فى تاريخ مصر الحديث، نأمل دائمًا أن يحقق أحلامه العظمى، وأن يساهم مساهمة فعلية فى نهضة المجتمع.

مكتبة الأسرة

تقديم

محفوظ عبد الرحمن كاتب درامى لا يجهله القارئ العربى، إذ أثرى الحركة المسرحية بالعديد من النصوص منذ سبعينيات القرن الماضى، مثل «حفلة على الخازوق» و«السلطان يلهو» و«ما أجملنا»، فضلاً عن العديد من المسلسلات التليفزيونية التى تركت أثرًا بالغًا فى ذاكرة المشاهد العربى، خاصة «بوابة الحلوانى» و«أم كلثوم»، بالإضافة إلى بعض الأعمال الإذاعية والسينمائية.

ولمحفوظ عبد الرحمن مشروع درامى خاص، يعمل على تأسيسه عبر الأجناس الدرامية المختلفة التى يرتادها قلمه، حيث يركز جل نشاطه على مساءلة التاريخ، والموروث الشعبى، وربما كان هذا سمة مميزة لمعظم الكتاب المسرحيين من جيلى الستينيات والسبعينيات، ولكن ما يميز محفوظ عبدالرحمن أنه انتأى بالدراما عن القضايا الجزئية المرحلية، ويركز اهتمامه على القضايا الكلية العامة، بما يكسب أعماله عمقًا إنسانيًا متجاوزًا لحدود الزمان والمكان.

ومحفوظ عبدالرحمن لا يقف عن معطيات التاريخ والتراث كما هى، بل إنه يعيد إنتاجها برؤية عصرية جديدة، مضيفًا إليها الكثير والكثير، حيث إنه لا يتناول أحداثًا تاريخية بعينها، أو سير أشخاص تاريخيين، وإنما ينتقى مرحلة تاريخية، ثم يفرغها من وقائعها التاريخية المعروفة، ليعيد صياغتها فى وقائع جديدة لا تمت بصلة إلى التاريخ، بما يضفى عليها طابعًا فنتازيًا، يمكننا معه أن نطلق على مسرح محفوظ عبدالرحمن أنه فنتازيا تاريخية.

وفى هذا الكتاب تقدم مكتبة الأسرة مسرحيتين لمحفوظ عبدالرحمن، الأولى هى: «عريس لبنت السلطان» والثانية هى: «بلقيس فى رحلة التيه»، وفى كلتا المسرحيتين يواصل محفوظ عبدالرحمن مشروعه فى الفنتازيا

التاريخية، حيث نجده فى المسرحية الأولى يبنى مدينة تاريخية، ولكن هذه المدينة ليست مدينة معروفة بعينها، كالقاهرة أو دمشق أو حلب أو بغداد، وإنما هى مدينة مجردة، يحيا أهلها تحت وطأة التهديد التترى، ذلك الذى عاشه الشرق العربى والإسلامى خلال القرون الأولى من الألفية الثانية، ويخلق محفوظ عبدالرحمن لهذه المدينة حاكمًا هو السلطان «شعبان الغازى» وابنته الأميرة «ذهبية»، ووزيرًا، وقائد جند، وشهبندر تجار، وما إلى ذلك من العناصر المؤسسة لأى مجتمع ينتمى لهذه الحقبة، ونلاحظ أن كل هذه الشخصيات لا تنتمى إلى التاريخ، وإنما إلى واقعها الدرامى، وفى هذه المدينة المحاصرة من قبل التتار نشهد مأساة عاشتها العديد من المدن العربية خلال حقبتى التهديد التترى والصليبى، ومازالت تحياه فى القرن الحادى والعشرين.

وهنا نرى أن تيمور لنك خاقان التتار يطلب خطبة الأميرة ذهبية، على أن يفك حصاره للمدينة، كنوع من إذلال سلطانها وشعبها، ومن ثم تتبدى للعيان بواطن رجال الدولة وأكابرها من ذوى الحظوة، فتظهر نذالة البعض وأطماعهم واستعدادهم للتضحية بالأميرة التى تمثل شرف الوطن، مقابل حياتهم، ولا تجد ذهبية لها منقذًا سوى ذلك الشاب الصعلوك «أحمد الغلبان» الذى ينتمى إلى العامة.

أما المسرحية الثانية «بلقيس فى رحلة التيه» فهى تنويعة مختلفة على نفس التيمة، ولكن هنا يعود بنا محفوظ عبدالرحمن إلى زمن أبعد، إنه زمن مملكة سبأ اليمنية، بلقيس ملكة سبأ، ولكنها ليست بلقيس المعروفة فى التاريخ والموروث الدينى، زوجة النبى سليمان، وإنما يتخذ المؤلف من حكاية بلقيس والنبى سليمان إطارًا لموضوع مسرحيته، فهنا نرى بلقيس ابنة الهدهاد ملك سبأ، وقد طلب خطبتها ملك يقال له ملك الزمان، وبالقهر تتم الخطبة إذ أن الهدهاد لا قبل له بجيوش هذا الملك وقوته وبطشه، وتتم الخطبة، وخلال رحلة بلقيس من سبأ إلى مملكة الملك، تتعقد الخيوط الدرامية كاشفة عن أن الخوف هو المحرك الرئيسى للعديد من المشاعر الدنيئة للإنسان، كالخيانة والكذب والخضوع، خاصة بعد أن يكتشف الجميع فى نهاية المسرحية أن الملك ميت منذ فترة طويلة وأنهم كانوا خاضعين طوال الوقت لمجرد شبح.

عريس لبنت السلطان

الشخصيات:

السلطان شعبان الغازى

من سوء حظه أنه كان حاكمًا للمدينة وقت اكتساح التتار للعالم القديم. وكان التتار وباء لا يمكن مقاومته كالطاعون. ومدينته لا يعرف أين هى، ولكنها بين بغداد وحدود مصر.

احمد الغلبان

شاب جاوز العشرين بقليل، وسيم، مرح باسم دائمًا، كثير الحركة. صعلوك له أخلاق الصعاليك. الاستهانة بالموروثات، والإيمان بقيم جديدة. يحمل رسالة خاقان التتار تيمورلنك إلى السلطان.

الأميرة ذهبية

ابنة السلطان يحيطها جلال من نوع غريب، يعاملها الجميع فى قدسية، لا تنفعل كغيرها، كلماتها واضحة حادة.

أبو الكلام

برهان كبير المنجمين وهو منصب ـ آنئذ ـ يخلط بين العلم والدجل. أحد المقربين إلى السلطان، وأحد أعمدة السلطة.

بهاء الملك

الوزير هادئ بارد حكيم، يريد الخروج (مثل الآخرين) من محنة التتار دون خسارة، ربما كان شابًا. وإذا لم يكن كذلك فقول المنادى عنه إنه (زين الشباب) إنما هو من قبيل النفاق.

عياش شارب الدماء

القائد. يحمل داخله تناقضات كثيرة: فهو رجل السلطة وهو أيضًا قائد من المفروض أن يمارس دسائس السياسة، لكنه يحمل داخله وضوح الجندى، ككل الجنود محب للحياة والفساد والخمر.. سهل القياد، من الأذكياء.

فيروز الياقوتى

شهبندر التجار لغته الوحيدة هى البيع والشراء. وهمه الوحيد هو الدينار لا يحب ولا يكره، لكنه يتاجر فى كل شىء.

المهرج

مهرج السلطان ليس بالصورة التى تتوارد فى القصص القديمة. فهو إنسان عادى فى المظهر. لكنه خفيف الظل. أتوهم أنه فنان هذا العصر، وقد عبَّر عن نفسه بالكوميديا المأساوية.

عدنان:

ضابط.. نموذج واضح للضابط الصغير، المتحمس، الشجاع، الشريف، الذى لا يرى أبعد من أنفه، مخلص لكل ما يعتقده.

منصور

منجم شاب. فى خدمة أبى الكلام برهان، ولكن بقدر ما فى برهان من دجل، بقدر ما فيه من ميل للعلم، وقد لا يكون هو الذى اخترع المدفع، ولكن المدفع اختراع عربى (إذ توصل إليه عالم أندلسى ورأى عرض اختراعه على الملك، وكانت الأندلس مقسمة بين ملوك الطوائف، وتتعرض لهجوم منظم من الإسبان، ويقى العالم العربى عامًا على أبواب الملك. فلما يئس منه، باع اختراعه إلى الإسبان، وبه أنهوا وجود العرب فى الأندلس.

شوق:

ابنة برهان: فتاة متحررة فى ذلك الوقت. تخرج إلى الأسواق تحلم بالزواج من أى رجل.

المنادى

يعمل مناديًا فى المدينة. وهو أيضًا راوى لأحداث قصتنا خفيف الظل دائمًا حركته خارج المسرح إلا فى الفصل الثانى.

الفصل الأول

(.. عندما يرتفع الستار يكون أبو الكلام برهان - كبير المنجمين - فى غرفة الاستقبال بقصره يعد لجلسة تحضير ملك الجان. أمامه موقد فيه بخور يعبق المكان وربما ساعده صبيانه فى هذا العمل. فى حين يطوف المنادى يحمل طبلته معلنًا الأوامر السلطانية، ومن الأفضل أن تكون حركته خارج خشبة المسرح).

المنادى : (مناديًا) يا أهل المدينة الكرام، يا عزة الإسلام، يا فرسان الحرب وأرباب الكلام، يا خير أمة بين الأنام (متثائبًا لنفسه) أريد أن أنام.. (مناديًا) بعد التحية والسلام. إليكم هذا البيان الهام: من السلطان شعبان الغازى سيد السلم وفارس الصدام، قال أعزه الله، ودام: بينما المدينة تحيا فى أمان الليالى وعز الأيام إذا حاصرها التتار (لا يجد الكلمة فيقول) حصار الصقور للحمام، أيها السادة الأفاضل، الزموا الدور والمنازل، وتحصنوا فى القلاع والمعاقل، وادعوا بالنصر لمولانا السلطان، فارس الزمان وبطل العصر والأوان، والآن.. (يترك الطبلة ويخاطب الجمهور).

والآن.. يا سادتى هناك اجتماع خطير، تنتظره المدينة على أحر من الجمر الاجتماع هنا (يشير إلى بيت برهان) نعم فى بيت سيدنا أبى الكلام برهان، علامة زمانه، وفريد عصره وأوانه، عبقرى الحساب والجبر والفلك والكيمياء والسيمياء والسحر، وقد شرفه مولانا السلطان بتعيينه كبيرًا للمنجمين. وهو يتقاضى

راتبًا شهريًا يوازى بالضبط راتبى فى تسعمائة وخمسين عامًا. وما يدهشنى أن منجمًا بارعًا مثله لا يعرف ما تفعله ابنته شوق. ولو عرف لقتل نفسه حسرة..

(يدخل الوزير بهاء الملك إلى برهان ويتبادلان حديثًا صامتًا، يبدو أنه حول حصار المدينة).

المنادى : مولاى بهاء الملك وزير السلطان، أحكم أهل زمانه، وأعدلهم، وأعقلهم. لولاه لما كانت مدينتنا عظيمة وثرية وشامخة.. لا يعيبه إلا بعض الهنات الهينات مثل الرشوة والمحسوبية. (يدخل شهبندر التجار فيروز الياقوتى).

المنادى : السيد فيروز الياقوتى، أظنكم عرفتم منصبه، فحتى الأسماء تدل على المناصب. أفضل قناص فى مدينتنا اسمه صقر، وأشهر مقاتل اسمه الرميحى. وأنا اسمى العريان. لابد أنكم عرفتم أن فيروز الياقوتى هو شهبندر التجار. (يدخل القائد عياش لينضم إلى زملائه).

المنادى : أذكياء أنتم.. والفضوليون دائمًا أذكياء. نعم إنه قائد الجيش: عياش شارب الدماء. منتصر دائمًا.. مظفر أبدًا. راياته مرفوعة.. وإن لم يحارب فى حياته قط. ومع ذلك فهو رجل شجاع، نبيل الطباع، يعيب عليه الناس أنه من هواة القدود السمهرية، والعيون

المغربية، والشعور الذهبية. ولكننى لا أرى فى ذلك عيبًا، زينب بنت سنان التى يعشقها فى هذه الأيام، وتتدلل عليه، تدير الرءوس فعلاً. آسف.. ما كان يحق لى أن أقول هذا الكلام والمدينة محاصرة. عيب..
(المنادى يلتقط الطبلة ويعود إلى النداء).

المنادى : يا أهل المدينة الكرام.. لقد هجم اللئام. ومزقوا عهد السلام.
(المنادى يخرج).

بهاء : ببساطة الموقف: فظيع.. فظيع. فظيع.

فيروز: إن المدينة تموت جوعًا، والقوافل خارج الأسوار تحمل الخيرات.

برهان : هذه مدينة لا يقلق الإنسان عليها، لقد تعرَّضت لأحداث أكثر بشاعة، وفى كل مرة كانت تخرج ظافرة.

بهاء : لكنهم التتار هذه المرة.

عياش : وهل التتار لا يهزمون؟

بهاء : لم نسمع أنهم هزموا قط، لقد زحفوا من أقاصى الدنيا، واجتاحوا السند والتركمان.

برهان : (متأوهًا) والقوا بكنوز العلم فى النهر.

عياش : لكل شىء نهاية. ونهايتهم على أيدينا بإذن الله.

بهاء : ولكن كيف؟ كيف؟

فيروز: كبير المنجمين سيقول لنا، والله إن كلامه أحلى من الأصفر الرنان.

برهان ـ أطلب الصمت الشديد، لا أريد ثرثرة فما أفعله ليس عبثًا ولا لعب عيال.

بهاء : نعرف، لقد تركنا أشغالنا وجئنا إليك لنعرف مصير مدينتنا..

عياش : وكرامتنا..

فيروز: وأموالنا..

بهاء : بى شوق لأن أعرف مستقبل مدينتنا.. ولكن هل ذلك بالإمكان؟

برهان : (ساخطًا) وهل فشلت فى أمر كهذا من قبل؟

فيروز: لا والشهادة لله.

عياش : توكل على الله فالوقت يمر.

فيروز: والقوافل واقفة خارج المدينة. حمولتها صارت تساوى ذهبًا.

برهان : إذًا الزموا الصمت. لا ينطق أحدكم بكلمة، وإلا انتزعت روحه. خطأ واحد يقتلنا جميعًا. (برهان يضع بخورًا ويهمهم بكلام غير مفهوم).

برهان : بحق سليمان والاسهم والمرجان، من هنا إلى آخر المكان بحق النور والبنور والظلام وأقدس الكلام. رمضان كركمان.. بحق سليمان اظهر يا ملك الجان. (صوت مخيف، النور يظلم ويبرق، الرعب يجتاح الجميع فيصدرون همهمات خوف: يا ستار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا رحمن يا رحيم..).

برهان : (غاضبًا) صمتًا .. فأنتم فى حضرة شمهورش ملك الجان. (يلين حديثه) مولانا العظيم وصاحب نعمتنا.. هل شرفت دارى المتواضعة؟
(الإضاءة تكون خافتة طوال حديث شمهورش، وصوته الذى يأتى من الخارج مرعبًا رهيبًا هو فى الحقيقة صوت منصور الذى سنراه فيما بعد صبيًا لكبير المنجمين).

صوت : اللعنة عليكم.. ألا يستطيع ملك الجان أن ينام فى هذا الزمان (الجميع يبدو عليهم الخوف).

برهان : السماح يا سيد الجان السماح. عبيدك يودون التشرف بالحديث إليك..

صوت : لكننى نعسان..

برهان : المعذرة يا ملك ملوك الجان. إنهم يأملون فى صبرك.. ويقبلون يديك والأرض بين قدميك.

صوت : طيب.. طيب.. ولكن اختصروا، فلقد استيقظت من حلم جميل..

برهان : إنهم يريدون إلقاء بعض الأسئلة.

صوت : عن أى شىء..؟

برهان : وهل هناك ما يشغلنا سوى التتار.

صوت : آه.. سمعت هذه الأخبار أمس.. الساعة التاسعة..

برهان : الأسئلة كلها عن حصار المدينة.

صوت : يا برهان.. قل لهم أن يذهبوا ليحاربوا بدلاً من الثرثرة وإضاعة الوقت.

(برهان مصدومًا فليس هذا الكلام الذى اتفق عليه.
لكنه يلين الحديث فى تملق ممزوج بالتهديد).

برهان : مولاى.. إنهم طامعون فى كرم أخلاقك.. وهم من كبار القوم.

صوت : أنا تعبان، سهرة الأمس كانت إلى الصباح..

برهان : مولاى،

صوت : حسن. لكل شخص سؤال واحد فقط لا غير.

برهان : (صائحًا للجميع) هل سمعتم؟ (همهمات) نعم.. سؤال واحد فقط؟

صوت : (غاضبًا) صمتًا يا كلاب (برهان يصدم. لكنه يلين الحديث).

برهان : بهدوء يا سادة.. لا تغضبوا سيدنا شمهورش.. الأسئلة بلا ضجة..
ابدأ يا سيد فيروز.

فيروز : مولاى يا صاحب عرش الماس، وقصر المرجان.

صوت : بلا نفاق.

فيروز : أريد أن أعرف هل ستتمكن قوافلى من دخول المدينة؟

صوت : هذا يتوقف على انتهاء الحصار.

فيروز : ومتى ينتهى الحصار؟

صوت : قلنا سؤال واحد يا غبى.

برهان : صمتًا.. سؤال واحد.. الدور للوزير.

بهاء : هل يكون لى فضل دحر التتار..؟

صــــوت : إذا دحرتهم..

بــهــاء : وهل أستطيع؟

الـصـوت : هل أتيت لى بمغفلين؟ قلنا سؤال واحد..

بــرهــان : اسمعوا الكلام يا سادة، ولا تغضبوا ملك الجان هيا أيها القائد..

عــيــاش : متى يرفع الحصار؟ وهل يكون ذلك بقوتنا أو بوصول مدد من الخارج؟ أو نتيجة ضعف التتار، وكم عددهم؟ وهل اتزوج بنت السلطان بعد النصر؟ وقبل ذلك هل أنال وصال زينب بنت سنان؟

وهل آمن لنائبى أم هو عميل للتتار كما يقولون؟

بــرهــان : (مقاطعًا) كفى.. كفى ما هذا كله؟

عــيــاش : إنه سؤال واحد. لكنه سؤال مفحم..

بــرهــان : مـولانـا شـمـهـورش.. مـا إجابتك عـلى هـذا السؤال المفحم؟

الـصـوت : لو كانت الجن تلبس الأحذية لضربته بالحذاء.

عــيــاش : (محتجًا) مولاى.. إننى القائد عياش شارب الدماء..

الـصـوت : طظ.

عــيــاش : طظ.. أنا يقال لى طظ؟ (مهددًا) أنا لا أسمح..

الـصـوت : (مقاطعًا) أتتحدانى يا عياش..

بــرهــان : رحمتك يا سيد الجان.

الـصـوت : لا رحمة مع هذا المعتوه..

عــيــاش : أنا معتوه.. (عياش يسل سيفه).

عيـاش : لو كنت رجلاً حقًا، تعال وقاتلنى كما يقاتل الرجال..
الصوت : أنا لا أقاتل حشرة.
عيـاش : حشرة.. أنا حشرة؟
برهـان : اغفر له يا مولاى.. إنه لا يقصد.
الصوت : لقد حكمت عليه أن يسخط قردًا..
برهـان : يا ألطاف الله.
عيـاش : (مذعورًا) قرد؟
برهـان : ضاع الرجل..
عيـاش : قرد؟
برهـان : عفوك يا ملك الجان..
عيـاش : لا.. إلا حكاية قرد هذه.
برهـان : اركع واطلب العفو يا عياش.
(عياش يركع).
عيـاش : المغفرة يا مولاى ولكنك أنت الذى بدأت قلة الأدب.
الصوت : خلاص.. انتهينا.. ولكن انظر ما ستفعله بك زينب بنت سنان.
انتهت الأسئلة ولا تزعجنى مرة أخرى يا برهان (يتثاءب) أنا ذاهب لأنام..
(أصوات مخيفة وبرق، وتعود الإضاءة إلى ما كانت عليه).
عيـاش : إنه لم يرد على سؤالى.
بهـاء : ولم نعرف متى يرفع الحصار؟

فـيـروز: بصراحة هذا أخبث عفريت رأيته فى حياتى.
عـيـاش: وجبان أيضًا.. لقد خاف منى.
بـرهـان: احمد الله يا رجل.. فلولا أن قلبه رق لكنت قردًا الآن.
بـهـاء: ألا يمكن إقناعه بالرد على أسئلتى؟
بـرهـان: فيما بعد.. ليس الآن..
بـهـاء: هيا بنا يا رجال فأمامنا عمل مرهق.
(يخرج بهاء الملك، وفيروز، أما عياش فيخرج متلكئًا، ومن باب آخر يأتى منصور الذى يقترب من برهان، وبرهان يقابله فى جفاء) هل ذهبوا؟
بـرهـان: كنت سخيفًا اليوم، ولا تطاق، ما حكاية هذا السؤال الواحد؟ ولماذا تشاجرت مع عياش؟ هل أنت مجنون؟ ثم لماذا هددته بتحويله قردًا لنفرض أنه تحداك ماذا كنت ستفعل؟ غبى.. غبى..
منصور: لقد ضقت بالشعوذة.
بـرهـان: لا خير فيك.. (إنها أسهل وأربح مهنة فى الدنيا..).
منصور: خلصنى منها أعزك الله.. وانظر فى أوراقى لعلى أكون وصلت إلى شىء يقرر مصير المدينة..
بـرهـان: كلام فارغ.. ستقول لى بارود وحديد.. وشىء يخرج منه.. لا.. لا.. لا لا تصدع رأسى بهذا الكلام.. الحرب يا ولدى يحسمها الحسام ويريحها الرمح..
منصور: إذًا اسمح لى أن أعرض أوراقى على السلطان..
بـرهـان: إياك أن تفكر فى شىء كهذا.. (القائد عياش يعود).

برهان : سيدى عياش.. (عياش يفتش فى المكان).
هل نسيت مفاتيحى هنا؟

منصور : مفاتيحك فى يدك يا سيدى القائد..

عياش : آه.. هذا صحيح.. أخزى الله الشيطان..
(متلكئًا) إذًا أترككم فى سلام.
(عياش يسير حتى الباب متلكئًا. ثم يعود بسرعة ويجلس على مقعد).

عياش : أنا جالس هنا.. ولن أترك هذا المكان قبل أن يرد شمهورش على سؤالى.

برهان : سيدى..

منصور : سأكتفى بسؤال واحد.. هيا استدعيه الآن.

برهان : مستحيل.

عياش : ولماذا؟

برهان : مستحيل تمامًا..

منصور : ألم تعرف ما حدث يا سيدى؟ لقد عاد الملك شمهورش إلى بلاده، وما إن دخلها، حتى جاءت جيوش العفاريت الحمر، وحاصروا مدينته..

عياش : (بدهشة) شمهورش محاصر (يضحك فجأة بسعادة) شمهورش محاصر.. يستحق. كان قليل الأدب ـ كان يريد تحويلى قردًا.. (عياش يخرج وهو مازال سعيدًا) أنا وشمهورش متساويان.. هو محاصر وأنا محاصر.. العفاريت الزرق والتتار.. حلوه.. حلوه.

برهان : أنت ولد ذكى لولا جنونك بالبارود.

منصور : آه لو سمعتنى يا سيدى. ربما نصرنا الله بفكرتى.

برهان : لا تكن غبيًا فالأفكار على قدر الرجال. مثلك لا يبتكر إلا الأفكار التافهة. أما الأفكار العظيمة فيبتكرها العظماء مثلى.

(تدخل شوق ابنة برهان).

برهان : (ساخطًا) ـ شوق؟ أين كنت؟

شوق : فى السوق.

برهان : (لمنصور) اذهب أنت.

منصور : اسمح لى بلقاء السلطان.

برهان : أنت تصدع رأسى بلا جدوى.. ستذهب إلى السلطان وتعرض عليه أوراقك فيحولها إلى. وأنا لن أقرأها (لشوق) لقد طال غيابك.. كان الوزير هنا.

شوق : أحقًا؟

برهان : كان يجب أن تكونى موجودة..

منصور : يريد أن يزوجك من الوزير..

برهان : اخرس يا ولد.. لا تتدخل فى أمورى العائلية..

منصور : لقد وعدت أن تزوجنى من شوق.

برهان : هل استأجرك أحد لتصل بى إلى مستشفى المجانين..

شوق : والله إن منصور شاب ظريف. وهو أوسم من الوزير، ولا يعيبه سوى فقره. لم لا تساعده يا أبى وأنت قادر على تحويل الحديد إلى ذهب؟

برهان : يا بنت المجانين أتريدين حقًا أن أدع الوزير يتزوج بنت السلطان، ويقضى على نفوذى.

منصور : قلها بصراحة.. لقد تخابثت وتاجرت بعواطفى.

برهان : لو تاجرت بعواطفك لأفلست.. أنت نفسك لا تساوى درهمًا.

منصور : (غاضبًا) أنت شيطان يرتدى ثياب إنسان.

برهان : (ثائرًا) أتشتمنى يا ولد؟ (يتجادلان فى عنف. وشوق بالصراع حولها).

منصور : أنا أريد شوق.

برهان : بعينك..

منصور : وسآخذها غصبًا عنك..

شوق : يا حليلة..

برهان : أخذتك مشنقة..

منصور : لن يتزوجها غيرى..

برهان : سأزوجها للوزير.

شوق : حلو..

منصور : لن أعمل معك بعد اليوم..

برهان : الباب يسع جملاً.

منصور : وسأعرض أوراقى على السلطان.

برهان : اعرضها على شمهورش نفسه..

(دقات طبلة المنادى تجعلهم يتشاجرون فى صمت. وأثناء كلام المنادى يتغير المنظر إلى صالة العرش).

المنــادى : يا أهل المدينة اسمعوا النفير. إليكم البيان الأخير، أمر سلطانى إلى الوزير، إلى مدير عام الدعاية، إلى العبد الفقير، بشرى للجمع الغفير رجالنا البواسل انقضوا على التتار صالوا وجالوا، وأتوا بأسير، فسبحانه القهار المجير.. (للجمهور) لقد لمحته، نعم لمحت الأسير، فى الحقيقة ليس هو بأسير، مديرية الدعاية التى أعمل بها تزوق الأشياء أحيانًا، إنه رسول التتار إلى مولانا السلطان. ولكن لأن مدينتنا لم تأسر عدوا واحدًا منذ سبعين عامًا، فقد اعتبرناه أسيرًا.. لا تغضبوا منى لقد أعجبنى الشاب.. ذلك الرسول ولد ولا الرجال.

لقد حاول بعض الجنود قتله. لم تسنح لهم فرصة عدو من قبل، ولكن الولد واجههم فى شجاعة الفرسان. أقول هذا وأستغفر الله لى ولكم.. (يشير إلى خشبة المسرح) الآن. فى هذا المكان يأتون بالرسول.. أقصد الأسير. ليستقبله مولانا السلطان بنفسه.

(يمسك بالطبلة ويعود إلى العمل).

المنــادى : يا أهل المدينة الكرام، اسمعوا النفير.. وإليكم هذا البيان الأخير.

(على المسرح بهاء الملك وبرهان فى انتظار الباقين).

برهان : لقد تغير الزمان.. كان مولانا السلطان يضرب عنق كل رسول تترى..

الوزير : كان الوزير قبل حصار المدينة. لم نكن ندرك مدى قوتهم.

برهان : وأين هذا الرسول؟.

بهاء : بين يدى عياش، وهذا ما يقلقنى.

برهان : أتظن أن عياش قد يعرف منه معلومات يخفيها عنا.

بهاء : أية معلومات من حقنا جميعًا.

برهان : هذا هو العدل (فيروز يدخل مهرولاً).

فيروز : أصحيحة هذه البشرى؟

برهان : بشرى؟

فيروز : قيل لى إن التتار بعثوا لنا برسول.

بهاء : وتسمى هذه بشرى يا شهبندر التجار؟

فيروز : ولم لا؟ عندما يبدأون الحوار بدلا من القتال، فهذا يعنى إما ضعفهم أو رجوعهم إلى العقل، وفى الحالتين يجب أن نتفاءل.

بهاء : لقد تأخر عياش بالرسول، ومولانا السلطان على وشك الحضور.

فيروز : لا شك أنه يستشف منه الأخبار وحده.

بهاء : يكون قد أخطأ.. لأن الرسالة موجهة إلى السلطان لا إلى القائد عياش (عياش يدخل مع الكلمة الأخيرة).

عياش : أرى أن سيدى الوزير يذكرنى دائمًا.

بـهـاء : ومن نذكر غيرك فى هذا الوقت؟

فـيـروز : أين الرسول؟

عـيـاش : موجود..

بـهـاء : هل تكلمت معه.

عـيـاش : بالتأكيد..

بـرهـان : وما أخباره؟

عـيـاش : ولم العجلة؟ سيأتى مولانا ونحكى كل شىء.

بـهـاء : هل تخفى عنا شيئًا؟

عـيـاش : أبدًا.. لكننى لا أحب تكرار الحديث.

بـرهـان : لو كنا على بينة برسالته الآن، لكان أمامنا وقت للتفكير، حتى نشير على مولانا السلطان بما يجب.

عـيـاش : أنتم لا تعرفون الصبر.

فـيـروز : حقًا.. لماذا نحن قلقون هكذا.. إنها رسالة الخير إن شاء الله.. (السلطان يدخل. يقفون له احترامًا، يجلس ويشير لهم بالجلوس).

السلطان : أين الرسول؟

عـيـاش : رهن إشارة مولاى.

السلطان : دعه يدخل.

(عياش يشير ناحية الباب.. فيدخل أحمد فى حراسة الضابط عدنان. الجميع ما عدا عياش - ينظرون إليه دهشة لأنه ليس تتريًا).

السلطان : أنت رسول التتار؟

برهان : نعم يا مولاى السلطان.. (تزداد دهشة الجميع كما لو كانوا يرون أعجوبة).

فيروز: الله أكبر.

السلطان : أنت تتكلم بلغتنا.

فيروز: دلالة الخير إن شاء الله .

عياش : إنه ليس تتريًا.. إنه عربى يا مولاى.

السلطان : رسول التتار عربى؟

برهان : خائن.

بهاء : جاسوس.

فيروز: كيف يكون هذا؟

السلطان : صمت (لأحمد) الا يبدو لك الأمر غريبًا بعض الشىء أيها الشاب؟

احمد : لقد رأيت فى حياتى من العجائب الكثير، حتى صرت أعجب لشىء.

السلطان : تتحدث كعجوز رغم أنك على ما يبدو لم تتجاوز العشرين بكثير.

احمد : عمر الإنسان لا يقاس بالسنين، بل بعدد المرات التى يختار فيها بين ما لا يجب وما لا يجب، بين الخطأ والخطأ.

برهان : إنه مهرج يدعى الحكمة.

السلطان : ألم يكن أفضل لك أن تختار عملاً آخر.

احمد : أنا صعلوك يا مولاى لا أختار عملى، ولكن العمل يختارنى أحيانًا، أنا دهشت لأنى عملت قاضيًا ذات

مرة، فلقد عملت قبلها حطابًا وكنت سعيدًا ودخلت مدينة لأعمل فيها حاويًا يروض الثعابين فاختارنى الوالى ضابطًا فى جيشه، وصحبت قافلة كحمال فصرت فى نصف الطريق قائدها، وفى نهاية الطريق سلمونى إلى الشرطة، وعندما اختارنى التتار لحمل رسالتهم، كنت أزرع أرضى.

بهاء : أنت تخدم أعداءنا.

احمد : لا يا سيدى.. أنا لا أخدمهم فى الحقيقة أنا لا أخدم أحدًا.. كانوا يريدون توصيل رسالة، ولم يجدوا غيرى. هذا كل ما هنالك.

برهان : وكم قبضت أجرًا لذلك؟

احمد : كيسًا من الفضة أخذه القائد.

عياش : صادرناه لحين سماع أوامر مولانا السلطان.

السلطان : أنت لا تهمنا فى كثير أو قليل، ما يهمنا هو الرسالة.. فهيا أعرض علينا الرسالة.

احمد : حقًا أنا أعمل رسولاً لأول مرة، ولكننى أحب إجادة عملى مهما كان. ولذلك سأعرض الرسالة من نهايتها، تيمورلنك خاقان التتار يعرض عليكم رفع الحصار عن المدينة!

فيروز : (مقاطعًا) الله أكبر.. الله أكبر، جاء النصر وعادت القوافل.

السلطان : اصعد إلى أول الرسالة.

أحمد : يريد الخاقان أن يؤكد صداقته لمولاى السلطان ولذلك يعرض عليكم المصاهرة.

السلطان : (ضاحكًا) ليت الشباب يعود يومًا.. ترى هل أصلح للزواج الآن؟

أحمد : بل الخاقان سيكون الزوج.

السلطان : زوج من؟

أحمد : مولاتى الأميرة ذهبية بنت السلطان.

(حالة استنكار وفزع تجتاح الجميع).

عياش : مستحيل.

بهاء : إنه جنون.

فيروز : حماقة.

عياش : سيدفع الثمن هذا الوثنى.

برهان : يا رحمة السماء.

فيروز : أى شىء إلا هذا، إنه أعور أعرج.

السلطان : لم أسمع فى حياتى بشىء أكثر سخافة من هذا الطلب.

برهان : أشير بقتل هذا الرسول فورًا (عدنان يجرد سيفه).

بهاء : قتله ليس كافيًا، لتقطع يداه رجلاه من خلاف أولاً..

عدنان : أيسمح لى مولاى السلطان بقتل هذا اللعين.

عياش : (لأحمد) الا تعرف أيها الأبله من هى ذهبية؟

عدنان : إنها أجمل وأطهر وأنبل ما فى مدينتنا..

برهان : إننا لا نستطيع أن نعيش لحظة بدونها.

ياقوت : مالى فداؤها.

بهاء : والله لو أنه طلب نساء الدنيا لكان أيسر من ذهبية.

عياش : لن نقبل بسماع طلب كهذا وفى المدينة رجل واحد، تسرى فى عروقه نقطة دم واحدة، ليوم واحد.

السلطان : أسمعت أيها الرسول، هذا هو الرد على رسالتك.

احمد : علىَّ إبلاغ الرسالة، وليس علىَّ نجاحها. فى الحقيقة نجاحها أمر لا يهمنى.

السلطان : لقد أجاب عنى عقلاء مدينتى وسادتها ... لن أستطيع أن أغير رأيهم لو أردت، رغم أننى السلطان، ولن يستطيعوا تغيير رأى العامة لو أرادوا.. فذهبية أغلى ما فى مدينتنا.

عدنان : ما قيمة أى شىء إذا ما فرطنا فيها.

برهان : أرى يا مولاى أن نضرب عنق هذا الرجل أسوة بمن سبقوه من الرسل.

عياش : دعوه لى وسأختار ـ له قتلة يكتب عنها المؤرخون ألف سنة.

السلطان : أراك تبدو غير مكترث أيها الشاب، ألا تخاف الموت؟

احمد : سيدى السلطان لقد وقعت بين أيدى التتار، ولم يكن بين يدى سوى فأسى كنت وحدى. وكانوا مائة ألف جندى، ومع ذلك فقد نجوت.

عياش : سيقتلك أصغر جندى فى جيشى.

احمد : لن تخيفنى أيها القائد.. بعد أن أخذت كيس نقودى لم أعد أخاف.

بــهـــاء : أطيحوا برأسه..

عــدنــان : أنفذ الأمر يا مولاى؟

عــيــاش : معذرة فى إلحاحى يا مولاى السلطان، ولكن إذا لم تسمح لى بإطاحة رأسه لن يهدأ بالى.

السلطان : وما رأى وزيرنا؟

بــهـــاء : القتل فورًا.

السلطان : وشهبندر التجار؟

فـــيـــروز: أوافق.. ولتبقى القوافل كما هى.

عــدنــان : أنفذ الأمر يا مولاى؟

أحـــمـــد : ألا تأخذ رأيى أيها السلطان أنا أيضًا.

عــيــاش : اخرس..

السلطان : أنت تدهشنى أيها الشاب، هل تريدنا أن نأخذ رأيك فى قتلك.

أحـــمـــد : ولم لا يا مولاى.. فقد أكون مستشارًا أكثر حكمة من مثل هؤلاء.

بــرهــان : وقح.

السلطان : ولم لا نسمعه طالما سيموت فى النهاية، إنه شىء طريف حقًا.. تكلم يا ولد.

أحـــمـــد : تعرفون أن السفارة ثلاثة أيام.. والخاقان ينتظر الرد.. لذلك لن يحارب فى هذه الأيام، بإمكانكم الاستفادة من هذه الفرصة (للقائد) ثلاثة أيام كافية لسد الثغرة فى السور الجنوبى (للشهبندر) وأقل منها كاف لنقل المؤن من المخازن فى غرب المدينة إلى وسطها.

السلطان : هذا رأى مخلص حتى لو كان من رسول التتار.

عـيـاش : نقتله ونتكتم الخبر.

أحـمـد : فكرة جميلة لولا أن للتتار جواسيسهم هنا.. وإلا فقل لى كيف عرفوا يا سيدى القائد أنك وقفت على باب زينب أمس فى الساعة العاشرة مساء، وأنها ألقت الماء الوسخ على رأسك؟

عـيـاش : كاذب.

السلطان : أميل إلى المحافظة على حياة الرسول ثلاثة أيام.

بـهـاء : وبعدها سيطير رأسك من على عنقك.

أحـمـد : لقد كسبت الحياة ثلاثة أيام فى ثلاث دقائق، فلا تتعجل يا سيدى. من يدرى ما يحدث فى ثلاثة أيام كاملة؟

السلطان : حافظوا على هذا الشاب حياتك أيها الضابط مرهونة بحياته.

عـدنـان : أمر مولاى.. (عدنان يخرج أحمد).

السلطان : هيه.. ما رأيكم يا رجالى؟

بـهـاء : وهل الأمر يحتاج إلى رأينا؟

فـيـروز : إن قلامة ظفر من أصابع ذهبية أغلى من حياتنا جميعًا.

بـرهـان : طلب أحمق. ورسول أحمق.. وخاقان أحمق..

عـيـاش : أرجو تكتم خبر هذه الرسالة، لو سمع بها رجالى لثاروا.

فـيـروز : ما رأى مولانا لو أننا انتهزنا الفرصة وأدخلنا قواتنا المحتجزة خارج المدينة خلال هذه الأيام.

عـيـاش : وهل نتصور أن التتار سيغمضون العين إلى هذا الحد؟
السلطان : لقد ضقت بهذه الحرب.. أحلامى تمتلئ بالكوابيس، أردد كلمات الأمل، ولكن قلبى لا يصدق شيئًا منها.. قل لى يا برهان ماذا تقول النجوم فى هذا الأمر.
بـرهـان : النصر لمولاى بإذن اللّه.
السلطان : هذا ما يطمئننى لم تخب لك نبوءة من قبل يا برهان.. فلماذا تخيب هذه المرة (يظهر المنادى. فى الوقت الذى ينسحب فيه الجميع من قاعة العرش).
المـنـادى : يا أهل المدينة.. أمر من مولانا السلطان لقد منح عهد الأمان إلى رسول التتار أحمد الغلبان، وسيقيم ثلاثة أيام فى هذا المكان، لا يؤذيه إنسان، ولا يجرحه لسان، وبعدها تكون الحرب وينصرنا الكريم المنان.
(يظهر على خشبة المسرح عدنان يدفع أحمد إلى الداخل).
احـمـد : أنت عنيف بعض الشىء.. لكنك مع ذلك تعجبنى.
عـدنـان : أما أنت فلا تعجبنى على الإطلاق..
احـمـد : هذا لا يدهشنى.. فأنا عادة أحوز إعجاب النساء، وأكسب العجائز، وأبهر الأطفال أما الشبان فلا يحبوننى.
عـدنـان : أنت شديد الغرور.
احـمـد : إنها ليست الصفة الوحيدة التى أحبها فى نفسى.. أنا بصراحة أحوز على عديد من الصفات اللامعة.
عـدنـان : أنت لا تطاق.

أحمد : أحقًا.

عنان : ودنىء.

أحمد : صحيح؟

عدنان : ألا تغضب للإهانة؟

أحمد : وهل أردت إهانتى؟

عدنان : طبعًا.

أحمد : لقد اعتقدت أنك تقول رأيك فى.. ولأننى أعجوبة هذا الزمن لا يزعجنى رأى أحد.

عدنان : ماذا أفعل لتقبل مبارزتى؟

أحمد : أنت أحب إلىّ من أن أسمح لنفسى بقتلك.

عدنان : إهانة لا يغسلها إلا الدم..

أحمد : أعتذر.

عدنان : أنا لا أقبل اعتذارًا..

أحمد : حسن.. سأركع على قدمى أمامك طالبًا المغفرة يا سيد الفرسان.

عدنان : أنت لعين.

أحمد : وأنت.. ساذج مثلهم جميعًا.. تريد قتالى لتصورك أننى خائن.. لكننى لست كذلك حتى لو حملت رسالة من الخاقان، لقد خيرونى بين الموت وحمل الرسالة . وأنا أحب الحياة.. الرسالة كانت ستصل على أى حال.. وفى الحقيقة وجدتها لعبة ظريفة وأنا أحب اللعب.

عدنان : هذه هى اللعبة التى ستكلفك رأسك..

احــمــد : كلما غلى الرهان، كلما احلوت اللعبة.

عــدنــان : ماذا تريد بالضبط؟

احــمــد : يا صاحبى لقد اكتشفت منذ زمن طويل أن الحياة لعبة سخيفة ظريفة.. مضحكة حمقاء.. ممتعة بلا طعم.. لذلك أردت أن ألعبها.. أنا لا افعل إلا ما أهوى. لا اترك عقلى لأحد يعبث فيه. ولا أحب السير إلا على حد السيف، ولا أنام إلا تحت ظل المشنقة، أعشق الدهشة وألتذ بالخوف، وأهوى السباحة ضد التيار..

عــدنــان : تحقق لى أمنية عمرى.. لو قبلت مبارزتى.

احــمــد : لا تلح على.. فأنا أكره أن أرفض طلبًا لشاب طيب القلب مثلك.

عــدنــان : ما رأيك فى فناء القصر الخلفى بعد ساعة.

احــمــد : ما رأيك فى هذا المكان والآن..

عــدنــان : مستحيل..

احــمــد : لا تؤجل لحظة السعادة إلى الغد..

عــدنــان : الأميرة ذهبية تريد رؤيتك الآن..

احــمــد : الأميرة ذهبية؟ ماذا تريد منى؟

عــدنــان : لا أعرف.. لن أقتلك قبل أن تقابلها..

احــمــد : قل لى هل هى جميلة؟

عــدنــان : هى الجمال نفسه انتظر هنا ولا تتحرك.. سأذهب وأخبرها بوجودك.. ولا تنس موعدنا بعد ساعة.

احــمــد : فى ساعة يحدث الكثير.

(يخرج عدنان، يسير أحمد إلى العرش، ينظر إليه يختبره، ثم يجلس عليه. يدخل المهرج).

المهرج : ماذا تفعل هنا أيها التترى؟

احمد : أنا لست تتريًا.

المهرج : حتى لو لم تكن كذلك، لا يحق لك أن تجلس على هذا الكرسى.

احمد : إنه مريح على عكس ما يقولون.. لعلى ألعب هذه اللعبة ذات يوم، لكنها لعبة ذات مخاطر. سهل أن تكون سلطانًا.. وصعب أن تعود نفسك بعد ذلك.. أفضل لك أن تكون صعلوكًا، فلا تفقد أبدًا متعة الحلم..

المهرج : أنت مجنون.

احمد : هذا أنا فمن أنت؟

المهرج : أنا مهرج السلطان..

احمد : أرثى لك فليس أصعب من إضحاك سلطان فى زمن الحرب.

المهرج : ليس أصعب من إضحاكه فى زمن السلم..

احمد : تبدو حكيمًا أيها المهرج.. فما اسمك؟

المهرج : وهكذا تكسبنى عدوًا لك.

احمد : هوايتى كسب عداء الناس.. لكننى لم أكسب عداوة أحد من قبل بسؤاله عن اسمه.

المهرج : عندما يصفعوننى على قفاى أضحك.. ولكننى أغضب عندما يسألنى أحد عن اسمى..

احمد : أخى.. لقد اخترع الناس الأسماء حتى لا تضيع الديون.. فهل عليك دين؟

المهرج : المهرجون لا يعرفون الديون، يعرفها فقط من يأخذ الحياة مأخذ الجد.

احمد : إذًا لماذا لا تقول اسمك؟ خذ الأمور ببساطة وقل إنك قيصر الروم.

المهرج : سأقول لك اسمى.. ستعرفه بالتأكيد من الآخرين.. فلتعرفه منى أفضل.. اسمى عزة.

احمد : ماذا؟

المهرج : أنت رجل طيب القلب.. بدأت بالدهشة فى حين يبدأ الآخرون بالسخرية.

أحمد : ولكن لماذا؟

المهرج : وجه هذا السؤال إلى أمى.. لقد أنجبت عشرة أولاد ماتوا جميعًا.. فلما ولدتنى خافت علىّ من الحسد.. تصور؟ فأسمتنى عزة..

احمد : وهكذا عشت، يبدو أن هذا زمن لا يعيش فيه الرجال.

المهرج : ماذا يهم الاسم.. أنت رجل على أى حال.

أحمد : عندما تضحك وأنت لا تريد أن تضحك، لا تكون رجلاً.

المهرج : خذها قاعدة، كل من تظنهم سعداء ليسوا كذلك.

احمد : لقد أفزعتنى من عملك لن أفكر مستقبلاً.

المهرج : ومع ذلك ربما تكون مارسته من قبل.. فتش تحت ثيابك ربما كنت مهرجًا وأنت لا تدرى فنحن جميعًا نمارس التهريج والتسول والبطالة.

احـــمـــد : سـيـدى.. أنت الـعـاقل الـوحـيـد الـذى قـابـلـتـه فـى هـذه المدينة.

(ذهبية تدخل مع عدنان.. المهرج يركع لها، فينحنى لها أحمد، ويبدو عليه الانبهار طوال لقائه معها.. عدنان يأخذ المهرج ويخرجان).

ذهـبـيــة : أنت الذى حملت رسالة الخاقان؟

احـــمـــد : نعم.

ذهـبـيــة : وما رأيك فيما جاء بها؟

احـــمـــد : أنا حامل رسالة.. ولست مفتيًا.

ذهـبـيــة : اسمك؟

احـــمـــد : أحمد الغلبان.

ذهـبـيــة : أنت فقير؟

احـــمـــد : لا أعتقد.. فقد لا أملك شيئًا وأعيش هانئًا.. وقد يؤرقنى الطمع فى قصر ولو امتلكته لتصدقت به لا عن كرم، ولكن ربما لأننى أكره القيود، والقصر قيد.. والمال قيد.. والحب قيد..

ذهـبـيــة : هل جيش التتارِ قوى كما يقولون..

احـــمـــد : القوة تتوقف على وجهة النظر التى ننظر منها، فالأسد أقوى من النمر والنمر أقوى من النملة والنملة أقوى من الأسد.

ذهـبـيــة : كيف تراه من وجهة مدينتنا؟

احـــمـــد : قوى جدًا.

ذهبية : لماذا ترى مدينتنا ضعيفة؟

احمد : لأن قائدكم يثقل جسده بالثياب الأنيقة.

ذهبية : أنت ضد الأناقة؟

احمد : أنا ضد الترف.

ذهبية : حدثنى عن الخاقان.

احمد : ككل الغزاة ترينه ملطخ اليدين بالدم.. ينتصر بضعف أعدائه، يكسب بالخداع، لا يؤرق ضميره شىء.. قادر على أن يزدرد أية مساحة من الأرض.

المهرج : وتريد لى الزواج من رجل كهذا؟

احمد : أنا أحمل رسالة فقط.

ذهبية : أنت لا تجيد الدفاع عن قضيتك..

احمد : مأساتى يا سيدتى أن ليس لى قضية، فلقد كشفت منذ صباى أن الكل باطل، الحياة ليست سوى لعبة. الذكى من يلعبها ويضحك بلا دموع.. قررت أن تكون لى دولتى الخاصة، أنا المواطن الوحيد فيها.

ذهبية : الا ترى أنك انانى؟

احمد : بالضبط. أنا أنانى ومغرور، ولا مبالى.

ذهبية : لماذا تحرص على إلصاق الصفات السيئة بنفسك؟

احمد : لست كذلك يا سيدتى.. فأنا أيضًا صادق ومحب للحياة وماهر جدًا فى استخدام القوس والفأس والسيف؟

ذهبية : ماذا تتوقع ردًا منهم على رسالتك؟

أحـمـد : الإنسان لغز يصعب قراءته.

ذهـبـيـة : أنت لا تعرفنا.

أحـمـد : أنا أعرف الناس.

ذهـبـيـة : لماذا يريدنى أنا بالذات؟

أحـمـد : لأن الناس كلهم يحلمون بك.. العروس الجميلة، الثرية، العريقة، التى ترفض الخطاب، وتدفعهم عن بابها..

ذهـبـيـة : لقد رفضتهم لأننى لم أر فيهم الرجل الذى حلمت به.

أحـمـد : حتى الخاقان يرى أنه هذا الرجل.

ذهـبـيـة : أنا لا أريد خاقانًا ولا سلطانًا.. أريد رجلاً أحس دون أن أراه أنه رجل، أريد رجلاً هامته فوق السحاب، وقلبه يسير على الأرض، أريد رجلاً صلبًا أمام الشدة، لكنه أصلب أمام الرفاهية الف مرة، أريد رجلاً لا يقول إلا ما يفعل، ولا يفعل إلا ما يبغى، ولا يبغى إلا الخير. أريد رجلاً لا يحنى رأسه ومع ذلك فقلبه ينكسر أمام أهون الناس، لا يهم ما يملك، المهم أن يتملكه الحب.

أحـمـد : تستطيعين أن تجدى ألف سلطان، وألف خاقان، قبل أن تجدى رجلاً كهذا.

ذهـبـيـة : هل هذا كثير علىّ.

أحـمـد : بل قليل، لكنك تبحثين عن المستحيل فى زمن أصبح الممكن فيه مستحيلاً.

ذهـبـيـة : هل عرفت إجابتى أيها الرسول؟

احـمـد : عرفتها منذ أن دخلت.. فلدىّ - إلى جانب مواهبى العديدة - القدرة على قراءة الوجوه.

ذهـبـيـة : وما رأيك؟

احـمـد : لا تفعلى إلا ما تؤمنين به.

ذهـبـيـة : حتى لو كان فى ذلك قطع رأسك؟

احـمـد : رأسى يا سيدتى لا يهم أحدًا سواى.. وأنا أعرف كيف أدافع عنه جيدًا .. فلا تخشى على.

ذهـبـيـة : وداعًا أيها الرسول.

احـمـد : إلى اللقاء يا سيدتى. أنا لا أحب كلمات الوداع.

(عدنان والمهرج يدخلان. عدنان يأخذ احمد ويخرجان)

ذهـبـيـة : إنه شاب غريب.

المـهـرج : أدركت ذلك عند لقائى به.

ذهـبـيـة : فى كلماته سخرية تخفى مرارة. ومرارة تخفى صدقًا.

المـهـرج : لقد كرهته قبل أن أراه.. ولكننى عندما رأيته أحسست أننى أعرفه جيدًا.

ذهـبـيـة : نعم.. نعم.. لقد شاهدته مرات عديدة من قبل.. ولكن أين؟ عند مرورى بالأسواق؟

بين الجموع التى أتت تهنئنا بالعيد؟ بين العاملين فى البستان؟ لا أذكر.

المـهـرج : قد تكونين قد رأيته فى كل هذه الأماكن يامولاى.

(السلطان يدخل ضجرًا.. وبعد لحظات يجلس على العرش).

السلطان : (لذهبية) أنت هنا.. لقد ضقت بكل شيء.. أصابنى الأرق.. والسأم.. لا أبغض من اليأس، إنه يفسد على الإنسان كل شيء (للمهرج) سلنى يا عزة، ولكن لا تعد إلى الاعيبك المعروفة فليس أقسى علىّ ملول من نكتة قديمة.

المهرج : سمعًا وطاعة يا مولاى.

(المهرج يبدأ لعبة الأقنعة.. ستة أقنعة للسلطان والوزير والقائد والمنجم والشهبندر والأميرة، يرتدى كلاً منها حسب الدور الذى يوديه. وأحيانًا يحكى دون أقنعة).

عدنان : يحكى أنه فى سالف العصر والأوان، كانت هناك مدينة جميلة.. أسوارها منيعة، يفيض الخير فيها. ولكنه لا شىء يدوم على حال، فلقد خسد الآخرون المدينة على ما فيها وكان بينهم ساحر شرير حول أهل المدينة إلى تماثيل لا ترى ولا تسمع ولا تتكلم. وكان على راس المدينة سلطان عظيم (قناع السلطان) ساءه ما أصاب مدينته. ودعا أطباء المدينة وحكماءها ليعالجوا السحر، وأتى الحكماء من جميع البقاع (قناع الوزير) أنا الطبيب الماهر. أعظم أطباء الدنيا كلها. سأفك الطلسم فى ساعة زمنية بشرط واحد.. (قناع الأميرة) لأن أهل المدينة هم حياتها نقبل كل شروطك

أيها الحكيم. (قناع الوزير) كلام عاقل. أريدك ياست الكل أن تصبحى جارية لى (يرفع القناع) ترى لو خير أهل المدينة - هل يقبلون الشرط؟ لاندرى فهم لايرون.. لا يسمعون لا يتكلمون (قناع الشهبندر) أنا أفضل أطباء المشرق والمغرب، سأقضى على السحر بأصبعى.. فقط.. فقط.. أريدكم.. أن تبيعونى أرواحكم.. تجارتى بلاحدود.. ولكن أهم ما فيها تجارة الأرواح (يرفع القناع) الاختيار الآن. بين تماثيل بلا أرواح، وبشر بلا أرواح، (قناع المنجم) سيعود الناس كما كانوا.. بعد خطوة أو خطوتين.. يوم أو يومين.. شهر أو شهرين.. الزهرة التقت بالمريخ فأنجبت السحر ويظهر القمر فيتم الطلاق (قناع القائد) سأقتل السحر اللعين أنا المنتصر دائمًا.. انتصرت فى كل المهرجانات.

أخذت كل النياشين فى الاحتفالات سأقتلك أيها الساحر سأقتلك.

عدنان : (من الخارج) اقتلنى.

(يدخل أحمد متقهقرًا وفى يده ثلاثة سيوف ويتبعه عدنان.. وأفضل أن يعرض المشهد تمثيلاً خارج قاعة العرش بشرط مهارة الممثلين اللذين يؤديان دورى أحمد وعدنان فى لعبة السيف).

عدنان : اقتلنى.. اقتلنى (السلطان يهب من مكانه)

السلطان : ماذا يحدث هنا؟

عـدنـان : انصفنى يا مولاى لقد ضاع شرفى.

السلطان : ماذا حدث أيها الضابط؟

عـدنـان : لـقـد بـارزتـه فـأسـقـط الـسـيـف من يـدى. تـوقـعت أن يطعننى به، لكنه لم يفعل. أخذت سيفًا ثانيًا فأسقطه من يدى وتكرر ما حدث. إنه شيطان.

السلطان : لقد أمرت بمنع المبارزات.. ألا تعرف ذلك؟

عـدنـان : دعه يقتلنى يا مولاى، وإلا ضاع شرفى.

احـمـد : أنا لا أقتل من أحب (يلقى عدنان بالسيف) خذ سيفك أيـهـا الـضـابط. إن شـرف الإنـسـان لا يمس عـنـدمـا يـسـقط السيف من يده، ولـكنه يفقد شرفه عندما لا يلتقط السيف مرة ثانية وثالثة، ويقاتل إلى النهاية.

(يظهر المنادى فى الوقت الذى يتغير فيه المنظر إلى غرفة الاستقبال فى بيت كبير المنجمين).

المـنـادى : يا أهل المدينة الكرام.. إليكم هـذا البيان (للجمهور) أمـر مـدهـش حـقًـا لـقـد وصل الـولـد إلى المـديـنـة فـى الـسـاعة العاشـرة صباح يوم السبت. فكان كل الناس يريدون قتله. لكنهم اكتشفوا أنه واحد منهم وفى أقل من يوم كسب إعجاب الجميع أنا أول من فتن به، ولكن مـا أدهـشـنـى حـقًـا، وجـعـلـنـى أؤمن بـأن فـى هـذا الـولـد سـحـرًا لا يقاوم، إن مـولانـا أبا الـكلام بـرهـان دعـاه إلى بيته. وسـيـدنـا بـرهـان من الـذين لا تـأخـذهـم فـى الحق

لومة لائم. وهو من أعدى أعداء التتار.. بماذا تفسرون هذا؟ أليس بمهارة هذا الولد.. ولكن لنعد إلى عملنا فقد كثرت فى هذه الأيام البيانات المهمة. (يعود إلى العمل) يا أهل المدينة الكرام، إليكم هذا البيان الهام.. (برهان وشوق يستقبلان أحمد).

برهان : لقد شرفت بيتنا يا سيدى.

شوق : إنه شاب وسيم يا أبى.

برهان : صمتًا يا شوق.. أمامنا أمور مهمة (لأحمد) تفضل يا سيدى (لشوق) ألا تذهبين لإعداد الطعام..

شوق : الجوارى يقمن بإعداده.

برهان : تشرفين عليهم (لأحمد) ابنتى بارعة فى كل شىء يا سيدى.. الجميع يريدون الزواج منها.. لكننى أقسمت ألا أزوجها إلا ممن يستحق.. فليس لى سواها يرث ثروتى الكبيرة.

احمد : يبدو يا سيدى أنك تريدنى فى أمر فلم لا تدخل إلى الموضوع مباشرة.

برهان : اقتراح طيب يدل على أنك رجل ذكى.. ولقد لاحظت أنك رجل واقعى وسط مجموعة من الحالمين. هذا ليس ثرثرة بل دخول فى الموضوع. فأنا أريد أن أعقد معك اتفاقًا.

احمد : أى اتفاق؟

برهان : أى اتفاق.

احـــمـــد : لست أفهم.

بـــرهـــان : لاشك أنك تعلم مـدى نفـوذى فى المدينـة. حقًـا إننـى لست السلطان، لكن كلمتى هى النافذة هنـا، فالناس يؤمنـون بمـا اقـول، أنت تعـرف سيطـرة النـجـوم على العامة.

احـــمـــد : ثم..

بـــرهـــان : فكـرت أنه بنفـوذى المتـواضع هـذا قـد أخدم مـولانـا الخاقان، فازوجه من ابنتى شوق، وأصير واليًا له على المدينة.

شـــــوق : لا يـا أبى.. أنـا لا أريـد الـزواج من الخـاقـان إنه أعـور وأعرج.

بـــرهـــان : اصمتى إنت.

شـــــوق : وعجوز أيضًا.. زوجه من ذهبية كما يريد.

بـــرهـــان : هـذه هى خطتى الثانيـة يا سيدى سأحقق له ما يـريد بنفوذى ثم أصير واليًا.

شـــــوق : واتزوج أنا من رسول التتار..

احـــمـــد : أنا.

بـــرهـــان : خطتان أرى أن تختار واحدة منهما.. أو تعرضهما على مولانا الخاقان ليختار ما يشاء.

احـــمـــد : غريب..

بـــرهـــان : وما الغريب يا سيدنا..

احـــمـــد : لقـد كدت تقتلنى عنـدمـا عرضت رسـالـة الخـاقـان.. ظننتك تجب حقًا ذهبية؟

برهان : إنى والله أحبها.. ولقد طلبت مخلصًا قتلك.. ولكننى عندما عدت إلى البيت فكرت أن المدينة محكوم عليها بالسقوط.. ولو دخلها تيمورلنك فإنه سيتزوج ذهبية ويطيح برءوسنا جميعًا.. فلم لا يتزوجها، وتبقى رءوسنا..

أحمد : (ساخرًا) قول حكيم..

برهان : هل تحمل رسالتى إلى الخاقان.

أحمد : لا يا سيدى.

برهان : (بدهشة) ولماذا؟

أحمد : لقد عملت رسولاً مرة واحدة، وكفانى هذا لأن أتوب عن هذا العمل.

شوق : إذًا ستتزوجنى؟

برهان : اصمتى يا شوق.

شوق : يا أبى أريد أن أتزوج.

(أحمد يتهيأ للخروج)

برهان : إلى أين يا سيدى؟

أحمد : أهرب بجلدى يا سيدى، قبل أن تتزوجنى ابنتك بالقوة.. وفى خططى ألا أتزوج قبل الستين من عمرى..

(أحمد يخرج)

برهان : هذا الشاب خائن، ويجب أن يشنق.. (المنادى يظهر فى الوقت الذى ينسحب فيه برهان وشوق).

المنادى : ونامت مدينتنا لأول مرة ليلة هادئة، والغريب أن الناس لم ينتهزوا الفرصة ليستريحوا بل قضوا الليلة فى سرور ورقص وغناء لنكن أذكى منهم ونستريح انتظارًا لأحداث اليوم التالى.

(ســـــتار)

الفصل الثانى

(يرفع الستار عن الغرفة التى يقيم فيها
أحمد..
أحمد يدخل حاملاً فى يده حمام وفى
أثره عدنان
يتبعه ساخطًا).

عـدنـان : لا يحق لك ذلك.. الصيد ممنوع فى مدينتنا .. هذا أمر سلطانى.

احـمـد : لقد أصبحت مزعجًا يا صديقى.. أنت تطاردنى فى كل مكان..

عـدنـان : أنا أؤدى واجبى.

احـمـد : أعرف.. وكنت سعيدًا فى البداية وأنا أراك تسير ورائى فى كل مكان، تمنيت لو أن أمى رأتنى وخلفى ضابط محترم مثلك.. لكنك بإلحاحك يا صاحبى جعلتنى أكاد أكره الحياة، التى أحبها كثيرًا.

عـدنـان : الصيد ممنوع لابد من استخراج تصريح قبل ذلك ستعاقب عقابًا شديدًا..

احـمـد : عقابى لنفسى سيكون أشد .. ضميرى سيؤرقنى.. فأنا لا أحب صيد الحمام، وأكره أن يصيد أحد هذا الطائر الوديع ولو بتصريح.

عـدنـان : إذًا فعلت ذلك لتغيظنى.

احـمـد : أنت مغتاظ يا صديقى دون مجهود منى. لو كنت لماحًا حقًا، لأدركت أن هذه الحمامة ليست كغيرها من

الحمام.. بقدر ما هى وداعة رقيقة.. هى فى حقيقتها شرسة.. وقاتلة.. ناعمة الملمس كالثعبان.. (يخرج رسالة من تحت جناحها) وهذا هو الدليل..

عدنان : (بدهشة) ما هذا؟!

احمد : رسالة يا صاحبى..

عدنان : من من؟ وإلى من؟

احمد : لست أملك القدرة على معرفة الغيب.. لكننى أستطيع أن أخمن (يفتح الرسالة ويقرأ) من خاقان التتار تيمورلنك.

عدنان : إنها لك.

احمد : لا أظن ذلك (يقرأ) إلى رجلنا فى المدينة، راقب الرسول أحمد الغلبان. (متحدثًا) الذى هو صديقك العزيز (يقرأ) إنه ماكر جدًا (متحدثًا) يقصدنى طبعًا (يقرأ) إذا أحسست أنه يلعب بنا اقتله فورًا. يجب تسليم ذهبية خلال هذا الأسبوع.

عدنان : (بذهول) رجلهم؟ هل لهم رجال غيرك هنا.

احمد : لست رجلهم يا هذا..

عدنان : لكن من هو؟

احمد : (ساخرًا) اعطنى حريتى لأتنقل فى المدينة كما أشاء وأنا أعرفه تمامًا..

(عدنان ينتزع منه الرسالة)

عدنان : لابد أن أسلمها إلى القائد فورًا.. بل أسلمها للسلطان نفسه.. ابق هنا حتى أعود.

احـــمـــد : أتتركنى وحدى؟ ربما هربت.. أو ربما قتلنى رجلهم..

عـدنـان : لا تتحرك من هنا وسأعود لك فورًا.. (عدنان يخرج.. أحمد يجلس واضعًا قدميه فى وجه الداخل مباشرة.. يدخل فيروز الياقوتى، يتلفت حوله، ثم ينحنى باحترام لأحمد).

فـــيـــروز: السلام على سيدنا سفير الخاقان الأعظم.

احـــمـــد : (بدهشة) أنا؟

فـــيـــروز: لا ترفع صوتك يا مولانا، فلقد جئت؛ وللحيطان آذان..

احـــمـــد : وعيون أيضًا.. ولكن ماذا تريد؟

فـــيـــروز: لا أجد وقتًا للمقدمات، فأنا لا أحب أن يرانى أحد هنا. أريد منك يا سيدى أن تبلغ رسالة إلى مولانا الخاقان..

احـــمـــد : رسالة منك أنت؟

فـــيـــروز: نعم منى أنا.. قل له إن عبده فيروز الياقوتى شهبندر التجار فى سلطنة شعبان الغازى أعزه الله، سيكون خادمًا مطيعًا وشهبندر تجار أمينًا فى سلطنة تيمورلنك أعزه الله.. وإننى بقدر ما بذلت من إخلاص ومحبة لمولانا السلطان شعبان، سأبذل له أيضًا كل الإخلاص والمحبة.

احـــمـــد : هذا وفاء نادر.

فـــيـــروز: انا خدوم بطبيعى يا سيدى.. وقل له أيضًا إننى سأعمل على تزويجه من الأميرة ذهبية بكل طاقتى..

فلا أغلى عندنا من الخاقان ولا من ذهبية والطيبون للطيبات.

احـمـد : حكيم أنت يا شهبندر التجار.

فـيـروز: وقل له بطريقتك اللبقة التى أعجب بها كثيرًا . إن لى عشرة قوافل خارج المدينة، فليسمح مولانا بدخولها.. ليس من أجلى والله، ولكن من أجل أهل المدينة الجائعين العراة.

احـمـد : أنت رجل ينكر ذاته من أجل الآخرين.

فـيـروز: هذا صحيح.. كيف عرفت؟

احـمـد : هذه هى الفراسة.

فـيـروز: لم يخب ظنى فيك.. أبلغ الخاقان برسالتى.. واذكرنى عنده بالخير.. وأنا لا أنسى أحبابى أبدًا..

احـمـد : ظننتك تحب ذهبية.

فـيـروز: إنى كذلك.. الا ترى أننى أختار لها أفضل زوج.. خاقان المشرق والمغرب؟

احـمـد : ربما لا تريد.. ولا أبوها.. ولا الناس..

فـيـروز: ينطحون الصخر.. فعريسنا أقوى قائد عرفته الدنيا . أليس من الذكاء أن نقدمها له شاكرين، أفضل من أن يأخذها غصبًا، ويأخذ معها أموالنا وارواحنا.

احـمـد : ذكاؤك صعب على فهمه.. فأنا أتوهم أن الحب هو كل شىء.. أو لاشىء.

فـيـروز: ليس من المهم أن تفهمنى.. ليس مطلوبًا من السفراء أن يفهموا.. ما أريده منك أن تبلغ رسالتى إلى

الخاقان كاملة غير منقوصة (بتودد) وبالطبع سأراعيك.
أنا لا أنسى خدمات الأصدقاء.

أحـمـد : ضع النقاط على الحروف.

فـيـروز: لك عندى مكافأة مجزية.

أحـمـد : أحب التحديد.

فـيـروز: سأغنيك إلى أحفاد أحفادك.

أحـمـد : الشرط نور.. وعلى فكرة أنا طماع.

فـيـروز: قوافلى خارج المدينة.. لو دخلتها فى أمان الله.. لك خمسة بالمائة. سأقتسم معك أحداها.

أحـمـد : أنا لا أحب أنصاف الأشياء، إنما أتعامل بالواحد الصحيح.

فـيـروز: (حانقًا) تريد «قافلة» قافلة بأكملها؟ عشرة بالمائة؟ هذا كثير.. الوزير نفسه يقبل خمسة بالمائة.

أحـمـد : لا تصرخ فللجيران آذان. وأيدى أيضًا.

فـيـروز: لكن هذا كثير.

أحـمـد : الرشوة على قدر الراشى. وأنت شهبندر تجار كل الممالك.

فـيـروز: (باسمًا) أنت طماع فعلاً.. لكننى أحببتك كولدى تمامًا.. خذ قافلة بأكملها.. أظن هذا كافيًا وأكثر.. والله لم أدفع فى حياتى أكثر من خمسة بالمائة.

أحـمـد: هل رأيت أحد يخسر قافلة دون اكتراث.

فــيــروز: دلنى على مجنون يفعل هذا.

احــمــد: أدلك على نفسى يا سيدى.

فــيــروز: (مذهولاً) تقصد؟ تريد.. تعنى أنك لن توصل رسالتى.

احــمــد : ولا بمائة فى المائة.

فــيــروز: أتعرف يا سيدى ماذا تعنى قوافل فيروز الياقوت.. حرير خراسان، وقماش الكوفة، ومماليك الصقالبة، وجوارى الترك، وعطور سمرقند، وفاكهة الشام، وحلى القاهرة، وتصاوير فارس.

احــمــد : كفى. لن أفعل حتى لو أضفت إليها عين الخاقان الثانية.

فــيــروز: ولكن لماذا؟

احــمــد : لأننى أحمق.

فــيــروز: (بعد تفكير) لك قافلتان. وإذا كنت طماعًا يا هذا.. فأنا بخيل. وفى حياتى لم أرش إنسانًا بعشرين بالمائة. والخاقان نفسه سأرشوه بأقل مما أخذت، اقبل ما أعرضه عليك ولن أزيد درهمًا..

احــمــد : أنت تزيد من سرورى يا سيدى.. فكلما زادت الخسارة، كلما احلوت اللعبة.

فــيــروز: احذر أيها السفيه.. إذا لم تستجب لطلبى سأشكوك إلى الخاقان الأعظم.

احــمــد : اذهب أنت والخاقان إلى الجحيم.

فــيــروز: (متراجعًا) اخفض صوتك يا سيدى.. فللحيطان آذان.. سأدعك الآن نم جيدًا وفكر فى الأمر.. لا تمل

التفكير.. قافلتان لا تساويان رسالة فقط، بل تساويان منصب الخاقان نفسه، قافلتان... هذا كثير..

(فيروز يخرج.. عدنان يدخل يتأمل احمد كما لو كان يريد اكتشافه).

عـدنـان : من أنت؟

احـمـد : (ممازحًا) صعلوك لا يملك جدارًا، لكنه ينام مرتاحًا إلى جوار أى جدار... مشرد بلا أرض، ومع ذلك فالعطر الذى يهز قلبه هو رائحة الأرض.. ملعون فى كل مكان، وموجود فى كل مكان. حالم فى عصر أصبح الحلم فيه جريمة.. هذا أنا يا صاحبى.

عـدنـان : سأقتلك هذه المرة، وقسما بشرفى، إذا لم أستطع فهمك.

احـمـد : يا صاحبى. أنا مثل كل الألغاز الكبيرة، إذا لم تفهمها فى لحظة لن تفهمها أبدًا.

عـدنـان : الخاقان يهددك بالقتل، ومع ذلك فأنت رسوله، ترفض قافلتين رشوة من الشهبدر وتقبل كيسًا من الفضة لتوصيل رسالة المغول..؟

احـمـد : صدق الشهبندر، فللجدران آذان.. إنه رجل عملى لماح.. لكنه مثل كل الذين يلعبون بالمال.. ذكى العقل، غبى الفؤاد.

عـدنـان : إنه خائن. متآمر أن يقضى على المدينة، ماذا كان يحدث لو لم أسمعه صدفة.

احـمـد : على فكرة أنا لست ضد من يسترقون السمع من وراء الأبواب، فليست لى أخلاق السادة.

عـدنـان : كان سقاء يحمل الماء إلى بيتنا. كان رجلاً طيبًا.. أو هذا ما كان يقوله أبى. ولما جاء عام العطش. كان يبيعنا الماء بكل ما نملك حتى الثياب.. فلما جاء الشتاء.. باعنا ثيابنا.. واليوم يريد أن يبيعنا نحن أنفسنا.. سأقتله (يشهر سيفه).

احـمـد : اغمد سيفك يا صاحبى، لست قادرًا على قتل كل من يريدون بيعك.

عـدنـان : لابد أن يعرف السلطان حقيقة رجاله.

احـمـد : (بدهشة مفتعلة) الا يعرفها؟

عـدنـان : سكان القصور العالية، لا يصل إليهم إلا الصوت الأعلى، وصوت الشهبندر أعلى.

احـمـد : لن أسكت على الشر.. وإذا لم يعتدل ميزان العدل سأقومه بنفسى.

(عدنان يخرج وأحمد يبتسم متهكمًا، يظهر المنادى وخلال حديثه يتغير المنظر إلى ردهه فى قصر السلطان).

المنـادى : فى يوم الأحد غرة شهر محرم.. مرت بمدينتنا بعض الأحداث: انتهز التتار فرصة الهدنة، واقتربوا من المدينة فرسخًا أو يزيد أصابت الشياطين شابًا عرف بالفتوة، فظل يصرخ حتى جن.. توقف عن العمل

الرجال الذين يصلحون السور الجنوبى وطالبوا بأجر إضافى. خنقت امرأة مشهورة بالصلاح زوجها دون سبب.. اصطاد الشاب الغريب حمامة.. أعلن كبير المنجمين أبو المكارم برهان ظهور هلال شهر محرم فى احتفال كبير وظل الضابط عدنان والمنجم منصور من الضحى إلى صلاة العشاء فى انتظار المثول بين يدى السلطان.

(ردهة القصر.. ومنصور وعدنان يسيران جيئة وذهابًا، متبرمين من طول الانتظار).

عدنان : يبدو أننا لن نستطيع مقابلته أبدًا..

منصور : أنا من أسرة معمرة.. لو عشت مائة عام. لن أترك هذا المكان قبل مقابلته.

عدنان : إن الأمر خطير.

منصور : لدى ما هو أخطر.

عدنان : أنت لا تعرف ما عندى.

منصور : وأنت لا تعرف ما عندى. سأعرض عليه آلة تنهى الحرب.

عدنان : (باهتمام) ماذا تقول؟

منصور : آلة من الحديد يوضع فيها البارود، ويطلق.

عدنان : بلاهة.. سينفجر البارود فى الآلة.

منصور : سنغلقه بكرة من الحديد، فلا ينفجر إلا عند سقوطها..

عـدنـان : مستحيل..

مـنـصـور : هل تكتم السر؟

عـدنـان : (بكبرياء) أنا ضابط يا سيدى..

مـنـصـور : لقد أعددت واحدة.. ليست متقنة جدًا..
لكنها صالحة كما أتوهم.

عـدنـان : وجربتها..

مـنـصـور : جئت لهذا..

عـدنـان : وهذه الأوراق.

مـنـصـور : إنها رسوم الآلة..

عـدنـان : أرنى إياها.

(منصور وعدنان يفردان الأوراق، ويبدءان فى دراستها باهتمام شديد، ومرح)

عـدنـان : آه.. لقد فعلتها يا ولد..

مـنـصـور : كل شىء محسوب بدقة..

عـدنـان : لابد أن تكون المسافة هنا قدر شبر..

مـنـصـور : بالضبط.. لاحظ هذه الشبكة.

عـدنـان : من الحديد طبعًا؟

مـنـصـور : أنا صنعتها من النحاس..

عـدنـان : عـفـريت أنت يـاولـد. كم تحـتـاج من الـرجـال لـلآلـة الواحدة؟

مـنـصـور : ثلاثة..

عـدنـان : ثلاثة؟ أظن أن اثنين يكفيان..

منصور : لابد من ثالث يعد كرات البارود.

(عدنان منفعل.. يفك قلادة عن عنقه ويقدمها لمنصور)

عدنان : خذ هذه يا ولد..

منصور : ولماذا؟

عدنان : لأى سبب.. الابد من سبب؟ ورثت عن أبى شيئين: القلادة والسيف.. أقسمت ألا أفرط فيهما ما دمت حيًا.. سأتحمل إثم النكوص عن القسم بشجاعة.. خذها لقد فرحت بها كثيرًا، ويفرحنى الآن أن تكون لك (يحتضنه) خذها ولا تنطق (يأتى برهان من الداخل متوجهًا إلى منصور).

برهان : كما قلت لك بالضبط.. خولنى مولانا السلطان دراسة مشروعك.. هات أوراقك واتبعنى..

(برهان يخرج.. عدنان مصدوم. ومنصور متوتر جدًا.. يمسك الأوراك بقسوة ويكاد يمزقها، فينقذها عدنان).

عدنان : ماذا تفعل؟

منصور : طالما سخر منى.. أتريد أن أتبعه؟

عدنان : لاتتبعه.. ولا تمزقها.

منصور : ماذا أفعل بها؟ أزين بها جدار غرفتى؟ أبيعها للتتار؟ أتدفأ عليها فى ليالى الشتاء؟ أكتب على ظهرها ما يشتريه أهل البيت من السوق، أصنع بها مراكب ورقية

العب بها مع أطفال الأسرة؟ (يخرج منفعلاً. ومن باب آخر يأتى الوزير).

بهاء : ماذا تريد يا بنى؟

عدنان : أريد مقابلة السلطان يا سيدى..

بهاء : بهذه البساطة..

عدنان : إن الأمر خطير يا سيدى..

بهاء : ولا تثق بقائدك؟

عدنان : بل أثق به يا سيدى.. لكننى لم أجده.. لقد اختفى كما لو كانت الأرض قد ابتلعته.

بهاء : لابد أن يظهر. أجل الأمر إلى حين لقائه.

عدنان : لكن الأمر عاجل يا سيدى.

بهاء : كاد صبرى أن ينفذ أيها الضابط.. قل ما عندك وخلصنى.

عدنان : لا أقوله إلا للسلطان..

بهاء : تقوله للسلطان، وللقائد، ولا تقوله لى.. ألا تثق بى ياهذا؟

عدنان : بل أثق بك يا سيدى..

بهاء : إما أن تتكلم وإما أن تذهب إلى عملك، عيب عليك أن تترك مكانك ونحن فى هذه الظروف.

عدنان : إنها مؤامرة يا سيدى.

بهاد : (باهتمام) مؤامرة؟ من يدبرها؟

عـدنـان : الشهبندر يا سيدى.

بــهــاء : هكذا؟ ضد من؟

عـدنـان : ضد المدينة كلها..

بــهــاء : وكيف؟

عـدنـان : لقد ذهب إلى رسول التتار، وعرض عليه أن يبلغ رسالة منه إلى الخاقان ليكون من رجاله.

بــهــاء : ابن الأفاعى.

عـدنـان : وعرض رشوة هائلة على الرسول.

بــهــاء : هكذا .. يريد أن يعملها السقا.. القربة بربع درهم.. الا يكف أبدًا عن البيع والشراء.

عـدنـان : ولكن الرسول رفض الرشوة.

بــهــاء : رفضها؟ لماذا.

عـدنـان : لا أدرى يا سيدى..

بــهــاء : إنها مؤامرة. مؤامرة خطيرة، ويجب علينا تكتمها.. اترك الأمر لى وإياك أن تبوح بما حدث لأحد.. ولا حتى لقائدك (يربت عليه بحنان). آه لنا نحن المخلصين.

(يتغير المنظر أثناء ظهور المنادى إلى قاعة فى قصر الوزير).

المـنـادى : يا أهل المدينة الكرام.. إليكم هذا البيان الهام.. نمت إلى مولانا بهاء الملك سيد الوزراء، الشائعات التى

يرددها العملاء ومن هم فى خدمة الأعداء.. من أن الخطر زال من الألف إلى الياء.. ولاحظ سيدنا انصراف العامة إلى الكاس والطاس (بصوت خفيض) وأكل القلقاس احذروا أيها الناس.. من شائعات الوسواس الخناس وإياكم وفقد القوة والبأس والآن يعقد رجال السلطان اجتماعًا فى الأحراس (متحدثًا) والأحراس كلمة بلا معنى لكن فرضها السجع، (يخرج المنادى - فى القاعة: الوزير والشهبندر وبرهان وعياش، والوزير يتلفت حوله يتفقد المكان).

عياش : ماذا تفعل؟

بهاء : الاحتياط واجب..

عياش : هل تظن أن جواسيس التتار وصلوا إلى هنا؟

بهاء : يا سيد عياش نحن مقبلون على قرار مهم.

عياش : خيرًا إن شاء الله.

فيروز : وهل نجتمع إلا للخير؟ والله ما اجتمعنا إلا وكسبنا شيئًا..

برهان : هدفنا الصالح العام..

عياش : يبدو أنكم اتفقتم على شىء..

برهان : نعم تدارسنا الأمر جيدًا..

فيروز : وحسبنا المكاسب والخسارة.

بهاء : واستشرنا ذوى الرأى..

برهان : وتوكلنا على الله، فعقدنا العزم.

عـيـاش : على ماذا؟

بـرهـان : تكلم يا سيدى الوزير..

بـهـاء : بل تكلم أنت يا برهان.. فأنت أبو الكلام.

بـرهـان : قرار خطير كهذا لا يعلنه إلا رجل فى وزن سيدنا الوزير.

عـيـاش : يا ألطاف الله.. تكلموا.. فقد بدأت استريب.

بـهـاء : حاول أن تستوعب كلامى أيها القائد.. فكر فيه بتمعن.. نحن نعرف أن صنعتك هى القتال لا التفكير. ولكن حاول معنا مرة واحد. ولتكن الأخيرة.

عـيـاش : تكلم يا سيدى.

بـهـاء : لقد فكرنا فى أمر الحصار، وأمن المدينة، ورسالة الخاقان، وخير الناس، ورأينا أننا من الحصار فى حصار ـ ولا منفذ إلا إذا أعملنا العقل ودبرنا الأمر.

عـيـاش : حتى هنا الكلام واضح.

بـهـاء : رأينا.. ورأى ذوى الرأى معنا، أن المدينة محكوم عليها بالسقوط.

عـيـاش : حاشا الله.. وأين سيفى ورمحى؟

بـرهـان : الكلمات العنترية لن تنقذ حجرًا واحدًا فى سور المدينة.

بـهـاء : بالحسابات الدقيقة فرصتنا فى الصمود أمام التتار لأسبوع لاتتجاوز واحدا بالمائة.

عـيـاش : هذه مغالطة.. حساباتى تقول شيئا آخر..

فيروز: ارفع النسبة إلى خمسة بالمائة، ولا تظلم الرجل يا مولاى الوزير.

بهاء: حساباتنا دقيقة أيها القائد.. وهى تؤكد استحالة صمودنا لأسبوعين.

عياش: غير صحيح.. أستطيع الصمود شهرًا كاملاً.

برهان: لنقل شهرين.. ثم؟

عياش: ربما أصابهم اليأس.

فيروز: طالما يطمعون فى خيراتنا، لن يفقدوا الأمل.

عياش: قد يأتينا مدد من الخارج.

برهان: حلم إبليس فى الجنة.

فيروز: كن ذكيا يا عياش وافهم الموقف.. التتار أقوى منا.

برهان: هذا لا يقلل من قدرك.

فيروز: والله إن عياشا يستطيع سحق تيمورلنك بضربة من يده.

بهاء: لكنهم مائة ألف جندى.. هزموا جيوشًا أقوى.. واستولوا على مدن أكثر منعة.. لقد قتلوا سبعين ألفًا، صنعوا من جماجمهم هرمًا، لا طاقة لنا بهم.

فيروز: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

بهاء: أمامنا طريقان: الأول أن نركب رءوسنا ونقاتل فتسقط المدينة ويغتصب الخاقان ذهبية بلا زواج.

عياش: حياتى قبل هذا.

بهاء: طبعًا.. حياتك ستكون قبل هذا، حياتنا كلنا.. لن يترك تيمورلنك واحد منا.

برهان : لن يقتلنا فقط. فهو أخصائى فى التعذيب.. كسر للعمود الفقرى ويظل الإنسان يصرخ ألمًا أيامًا قبل أن يموت. هذه ميتة القواد.

فيروز : وبالطبع سيصادر أموالنا.

برهان : الطريق الثانى يا عياش هو أن نقبل عرض الخاقان.

عياش : مستحيل.. هذا جنون.

بهاء : بل هو عين العقل.

برهان : إنه عرض كريم أعمتنا عنه الحماسة.

بهاء : رجل يريد السلم.

فيروز : وزواج نفخر به.

بهاء : لقد اتفقنا على أن السلم أسلم.

برهان : واتفق معنا ذوو الرأى من أهل المدينة على هذا.

فيروز : كفانا فخرًا أننا سنصاهر سيد الدنيا.

بهاء : لقد اتفقنا على المصاهرة، فإذا لم تكن موافقًا عليها، سنضطر آسفين لأن نأتى بقائد جديد، يتفق معنا.. ليس هذا اقتراحى. لكننا مضطرون له. والحجة موجودة: أنك فشلت أمام التتار.

عياش : أمحكوم علىَّ بالعار ولا أستطيع دفعه.. هل أنفقت كل هذه السنوات أحلم براية عالية، وأسقط راكعًا أمام أول غاز؟ أأكون شهيد حرب لم أخضها؟ لماذا أجد ظهرى مكشوفًا دائمًا؟ لماذا أجد نظراتى تسقط خزيًا، كلما رفعت رأسى؟ اللعنة عليكم وعلىَّ، اللعنة على كل

طفل وامرأة اللعنة على السيف والرمح والدرع وقصائد عنترة.. اللعنة على الكبرياء والشرف والأمل.. السيف فى يد الجندى، والجندى مكبل بالخيوط، والخيوط فى أيدى السادة. لا رأى للجندى، عليه فقط أن يسلم سيفه كلما ترهل السادة، وأنا أسلم سيفى (يخرج سيفه ويتأمله) ظللت متشوقًا إلى النصر حتى علاك الصدأ (يقدم لهم السيف) هاكم سيفى.. احرصوا عليه فقد أثقلته المرارة. (يلقى بالسيف) أمستحيل حتى الموت بشرف؟ كما تريدون يا سادة.. أنا أركع مثلكم.. ذليلاً، خانعًا، طائعًا (ينهار باكيًا على ركبته) أنا أركع يا سادة.. أركع.

بهاء : نحن آسفون.. لكنه ليس قرارنا وحدنا.

عياش : (نادبًا) قبل أن أبدأ، انتهيت، قبل أن أبدأ انتهيت.

برهان : تماسك يا رجل.

عياش : رجل؟ الرجولة من نصيب بغى تزنى بإخلاص. لست رجلاً ولا أنتم.

بهاء : هذا كثير.

برهان : ماذا نقول للناس لو عرفوا أن قائدهم فقد أعصابه وانهار هكذا.

فيروز : إذا كان هذا ما تفعله فى السلم، فماذا كنت ستفعل فى الحرب؟

عياش : (نادبًا) ستظل النياشين من الصفيح والجواد لزينة المواكب والسيف لقطع البطيخ.. لقد انتهيت.

(فيروز يقترب من عياش فى مودة).

فيروز: كلنا نقدر موقفك.. ولكن قدر أنت أيضًا موقفنا إننا لن نسمح لقائد أن يبنى مجدًا شخصيًا على حساب صالح المدينة.. (فيروز يربت على كتف عياش، فيدفع يده فى عنف).

عياش : لا أحب أن يعزينى أحد (يقف) هل اتفقتم على هذا الرأى؟

فيروز: نعم.

عياش : وهذا قرار الجميع؟

بهاء : نعم.

عياش : ولا رجعة فيه.

برهان : مستحيل.

عياش : إذًا ملعون من لا يقدم لى كأسًا. (الوزير يتقدم ليأتى له بكأس.. عياش يتقدم وينتزع الزجاجة ليشرب منها).

عياش : دعونى أشرب لأغرق ضميرى.

فيروز: تصنع خيرًا يا سيدى.. فلا أفضل لصالح الإنسان من إغراق ضميره.

عياش : إنه يغرق يا سيدى.. يغرق..

بهاء : تأكد يا عياش.. أننا احتجنا لجهد كبير حتى نغرق ضمائرنا.

عياش : إذًا أنتم سبب أزمة الخمور فى المدينة؟

فـيـروز: لقد فكرنا فى كل شىء، إلا شيئًا واحدًا: من يضع الجرس فى عنق القط؟

بـهـاء: ماذا تعنى؟

فـيـروز: من يوصل رسالتنا إلى تيمورلنك؟

بـرهـان: احذروا من رسوله.. إنه مجنون.

فـيـروز: لقد طردنى رغم أننى عرضت عليه قافلتين.

عـيـاش: أفعل هذا حقًا؟ إنه لعين، مازال ضميره طافيًا، أرسلوا له زجاجة معتقة.

بـرهـان: لنبحث عن شخص آخر.

فـيـروز: وأين نجده؟

بـرهـان: أصعب أن نجد رجلاً أمينًا، كتومًا، شجاعًا؟

عـيـاش: لو وجدت هذا الرجل، وعرضت عليه أمرًا كهذا، سيقتلك.

بـهـاء: لا تتعبوا أنفسكم بالبحث عن رسول.. هناك من سيتولى الأمر عنا.

فـيـروز: من؟

بـهـاء: السلطان.

بـرهـان: مستحيل.

عـيـاش: أيوافق السلطان حقًا على زواج الأميرة من الخاقان.

بـهـاء: ولم لا؟ سيوافق. وهل هناك ما هو أغلى من السلطنة.

بـرهـان: أنت تقامر برقابنا جميعًا.

بـهـاء: دعوا الأمر لى.. رقابكم أيها السادة فى يد أمينة.

(يتغير المنظر إلى منظر السوق. فى الوقت الذى يظهر فيه المنادى)

المنادى : (مناديًا) يا أهل المدينة الكرام، إليكم هذا البيان الهام (متحدثًا) يبدو أن راسى حدث له شىء ما اليوم (مناديًا) من الوزير بهاء الملك إليكم جميعًا.. نظرًا لأن الناس تعبوا تعبًا شنيعًا، فقد تقرر إقامة الأفراح سريعًا (متحدثًا) أليس هذا نقيض البيان السابق؟ أنا اليوم مصاب بحالة غباء (مناديًا) واليوم تحتفل البلاد بذكرى الزواج الثالث للسلطان رمضان بن حماد، الجد السابع عشر للسلطان شعبان فارس الفرسان (متحدثًا) إنها مناسبة سعيدة حقًا، ولكن ما الذى ذكرهم بها.. لقد مر عليها حوالى خمسة قرون.. ولم يحتفل بها أحد من قبل (مناديًا) وبهذه المناسبة السعيدة، يهدى الوزير إلى الجميع الهدايا العديدة، مكيال من القمح، وآخر من الشعير.. ونصف مكيال للطفل الصغير.. أدام الله عز الوزير (متحدثًا) لماذا كل هذا؟ ولكن ماذا يهمنى.. من يتزوج أمى سأقول له يا عمى. لن يفوتنى الاشتراك فى العيد.

(المنادى يقفز إلى خشبة المسرح حيث الاحتفال بالعيد. بين الموجودين: شوق، والمهرج)

شوق : (للمهرج) أمتعنا بألاعيبك يا عزة.

المهرج : مهرج السلطان.. سلطان المهرجين.

شــــوق : لا تتدلل، فالعشرة مثلك بدرهم.
المـهـرج : بعض الناس أرخص.
شــــوق : إذا لم تتأدب ضيعت لك عينك. حتى تصبح أعور مثل تيمورلنك.
المـهـرج : وأنت إذا لم تصمتى تركتك بعينيك مثل أمى.
المـنـادى : صلوا على النبى.. واجعلوا ليلتنا آنسا (منصور يدخل.. يمسك بيد شوق بعنف).
مـنـصـور : ماذا تفعلين هنا؟
شــــوق : دع يدى.. لماذا تمسكنى هكذا؟ هل أنت من أهلى؟
المـهـرج : اتركها يا منصور تشارك الناس أفراحهم.
مـنـصـور : أفراحهم؟
المـنـادى : اليوم نحتفل احتفالاً كبيراً.
مـنـصـور : لماذا؟
المـهـرج : لا يهم.. يقولون إننا شعب يحب المرح.. وهى كذبة غريبة.. فلم أر واحداً حتى الآن يعرف كيف يضحك..
المـنـادى : لا تفسد بهجتنا أيها الشاب..
مـنـصـور : (لشوق) عودى إلى البيت.
المـنـادى : لماذا؟ حتى أضع بوزى فى بوز مربيتى العجوز. أريد أن أعيش وأنطلق (المهرج يلبس قناع الوزير)
أمر ممن لا أعرف اسمه إلى من لا أعرف أسماءهم:
احتفلوا لاتحتفلوا. امرحوا.. احزنوا. نفذوا الأوامر يا كلاب.

شـــوق : إنه الوزير.. لقد عرفته..

المنـادى : لعبة حلوة.

منصور : هيا يا شوق.

شـــوق : الوزير يريد أن يتزوجنى.

منصور : شوق..

شـــوق : وأنت.. وآخرون. ولكن لا أحد يفعلها..

منصور : عيب هذا الكلام هنا.. هيا معى.

شـــوق : لا يا حبيبى.. أنت تريد استدراجى إلى شارع مظلم.. وهل لا أعرفك؟

المنـادى : فى حياتى لم أرها إلا فى الشوارع المظلمة.

المهـرج : (قناع كبير المنجمين) اركعوا يا ملاعين.. يا خطأة. يا أنجاس..

شـــوق : أنه أبى..

المنـادى : بنت حلال.. لقد عرفت أباها.

(يدخل برهان ويصطدم بالمهرج الذى لا يراه من وراء القناع)

المهـرج : اركع يا رجل.

(برهان يمسك بالمهرج فى غضب.. المهرج يرفع القناع بدهشة).

المهـرج : سيدى كبير كبراء المنجمين.

برهـان : هكذا..

المهـرج : سيدى..

برهان : (لشوق فى عنف) ماذا تفعلين هنا؟
شوق : أتفرج يا أبى مثل بقية الخلق.
المنادى : الليلة عيد يا مولانا.. (يدخل أحمد وعدنان).
برهان : سأجعل الخلق يتفرجون عليكم..
احمد : أتريد يا صاحبى أن تحرمنا من بهجة العيد.
عدنان : ستذهب بى إلى المشنقة.. وتنجو أنت كالعادة.
برهان : (لشوق) انصرفى من هنا (لمنصور) وأنت كيف تسمح بحدوث شىء مثل هذا.
احمد : أنا لست فى خدمتك. أنا مفصول ومستقيل.
برهان : (للمهرج) نهايك على يدى يا عزة.. (برهان يشير لعدنان بالاقتراب).
عدنان : نعم يا سيدى.
برهان: خذ هذا الولد إلى السجن (مشيرًا إلى المهرج).
المنادى : أحمق من يسجن مهرج السلطان.
عدنان : ليست هذه مهمتى يا سيدى.. مهمتى حراسة هذا الشاب.
برهان : ما شاء الله. وأنت كفء لها. ولذلك تتركه يتجسس علينا فى الشوارع.
عدنان : إنه ليس جاسوسًا.
المنادى : سيحولون هزلنا إلى جريمة سياسية.
شوق : إنه وسيم يا أبى.
برهان : اخرسى. تعالى معى (يجذبها وراءه فى عنف) وأنتم جميعًا ستنالون العقاب. امرحوا، وسترون نهاية مرحكم.

(برهان يخرج المهرج يلبس قناعه ويقلده فى طريقة مشيه).

المنادى : أنا أعرفه جيدًا. سيرسل لنا جنودًا ويقبضون علينا.

منصور : لننصرف من هنا.

المنادى : أعرف مكانا افضل.

عدنان : هيا بنا يا أحمد.

المنادى : لنتحرك.

المهرج : أنا.. وأنتم.. أكسل من أن نترك هذا المكان.

المنادى : أنت فى حماية السلطان.

المهرج : (بقناع السلطان) بل أنا سلطان هذا الزمان.

المنادى : احذر هذه اللعبة يا مجنون.

المهرج : (بالقناع) سلونى يا شباب.

المنادى : دعنى اقتسم معك هذه اللعبة.

المهرج : اقتله يا سياف.

المنادى : أعطنى هذا القناع.

المهرج : ابعد يا مهرج (المنادى يصادره حتى ينتزع منه قناع الشهبندر ويلعبان وفجأة يدخل الجنود يحيطون بهم جميعًا).

عدنان : ألم أقل لكم لا داعى لهذه اللعبة.

المنادى : ليلتنا أنس إن شاء الله. (يتغير المنظر إلى غرفة سجن فيها: عدنان وأحمد والمهرج ومنصور والمنادى الذى يتحدث للجمهور).

وحق من جمعنا من غير ميعاد، كانت ليلة ولا كل الليالى.. يكفى أننا ضحكنا فيها حتى الصباح. بل يكفى أنه لم يكن فيها بيان واحد. ألم أكن محبوسًا؟ لم أكن أتصور أن طعام السجن ردىء هكذا.. أتوا لنا بفاصوليا كأنها حبات حجر. وبدلاً من أن نأكلها لعبنا بها. أتعرفون من الذى كسب؟

(المساجين الخمسة يعلبون لعبة الحظ أحمد يكسب).

عدنان : (ساخطًا) هذا هو الدور الثلاثون وأنت تكسب (أحمد يلعب).

احمد : أكسب مرة أخرى.

منصور : حظك من نار.

المهرج : حظه كحظ الغوانى.

المنادى : لقد انتهت آخر حبة فاصوليا معى.

المهرج : وأنا أيضًا.. قضى هذا الشاب على ثروتى منها..

منصور : لنلعب مرة أخرى.. (أحمد يلعب ويكسب).

منصور : يا للحظ ضاعت كل الفاصوليا.

احمد : ما رأيكم فى أن ننام قليلاً.

المهرج : هذه أول ليلة أنام فيها مفلسًا.

عدنان : فكرة طيبة.. هيا ننام (يبدءون النوم جميعًا ما عدا منصور الذى يظل ساهرًا).

منصور : إننى أخسر دائمًا. عاجز باستمرار. لاقيمة لى. لا قيمة لحياتى ليس أمامى سوى الموت.. (ينزل من السقف حبل مشنقة).

منصور : الموت هو الحل الوحيد.. ستبكى أمى كثيرًا .. ولكن أية حياة هذه التى أعيشها.. أترك الآلة خرساء، ولا أستطيع شيئًا.. لا حل سوى الموت (منصور يحاول وضع رأسه فى المشنقة لكنه لا يطولها).

احمد : يلزمك كرسى.

منصور : هل أنت مستيقظ؟

احمد : كان يجب أن يكون الحبل أكثر انخفاضًا.

منصور : الا تقول شيئًا؟

احمد : هل تتوقع منى أن أطلب منك الرحمة بشبابك؟

منصور : إن أحدا لا يريد النظر فى أوراقى.

احمد : لا أرى هذا سببًا كافيًا للموت.. ومع ذلك أنت وشأنك.. حاول أن تنزل الحبل قليلاً تصبح على خير.

منصور : ستنام؟

احمد : ولم لا؟

منصور : أنت تسخر منى يا سيدى..

احمد : أن تستحق ذلك.. فأنت لا تجيد فعل شىء حتى قتل نفسك.

منصور : الا تظن أن ما افعله جبن..

احمد : على العكس أنا أرى التضحية بالحياة قمة الشجاعة.. هيا افعلها.

منصور : (منهارًا) لست أدرى ما أفعل.

احمد : افعل أى شىء.. المهم أن تفعل.

منصور : أنت لا تفهمنى.
احمد : انا لا افهم احدًا هنا، ولا أحد يفهمنى.
لكننى أكره البكاء والشكوى إذا ما أردت شيئًا، افعله، على فكرة أنت لن تقتل نفسك، المنتحرون لا يناقشون. تصبح على خير. واترك هذه المشنقة الظريفة. منظرها الجميل، سيساعدنى على النوم.
(أحمد ينام.. منصور يجلس منهارًا.. الباب يفتح ويدخل الوزير ومعه بعض الجنود).
بهاء : استيقظوا .. أين عزة؟
المهرج : لا أعرف كيف أنام فى هذه البلد..
بهاء : هيا.. اخرج فورًا.. إن السلطان فى حاجة إليك.
المنادى : تخرج أيها المهرج فى حمى السلطان.
بهاء : (لأحمد وعدنان) وأنتما أيضًا اخرجا.
المنادى : الرسول يخرج فى حمى الخاقان، والضابط يخرج فى حمى الرسول.
بهاء : أما أنتما فستجلدان حتى تعترفا أن أباكما من فصيلة الحمير.
المنادى : أنا شخصيًا معترف دون جلد.
بهاء : أنت بالذات ستجلد حتى يأتى أبوك ويعترف بنفسه أنه حمار.
المنادى : نهار أسود، لكن أبى مات.
بهاء : ليست هذه مشكلتى. خذوه..
(الجنود يأخذون المنادى).

منصور : سيدى الوزير.. أنا متقبل للجلد، بل وللشنق أيضًا، ولكن اسمعنى أولاً.

بهاء : أسمعك؟ لعلك تغنى.

منصور : يا سيدى لقد ابتكرت آله جديدة.

بهاء : لا تضيع وقتى..

منصور : يا سيدى إن برهان لا يريد أن يسمعنى (صوت صراخ المنادى وهو يجلد).

بهاء : هذا هو الصوت الذى أريد سماعه.

منصور : إذا لم تسمعنى قتلت نفسى.

بهاء : خيرًا تفعل.

منصور : سأقتلك.

بهاء : أمسكوا بهذا المجنون، واجلدوه حتى يقر أن أباه وجد جده من البغال (الجنود يأخذون منصور.. يتغير المنظر إلى قاعة العرش.. يظهر المنادى أثناء التغيير وهو يئن من الألم).

المنادى : آه يا ظهرى.. آه.. يا أهل المدينة الكرام.. آه.. إليكم هذا البيان الهام.. من وزيرنا سيد الدنيا وزين الشباب، الزموا الدور وأغلقوا الأبواب ولاتخرجوا مهما كانت الأسباب.. آه.. ومن خرج تعرض للعقاب.. واسألونى أنا عن العقاب.. ستعضون فى الأرض كالكلاب.. وتمضغون التراب.. أنا فعلتها أيها الأحباب.. من فقد أباه.. إياه أن يخرج إياه.. آه يا ظهرى آه. (قاعة العرش ذهبية يدخل الوزير).

بهاء : مولاتى الأميرة.. أين مولاى السلطان؟
ذهبية : فى جناحه.
بهاء : أريده فى أمر عاجل.
ذهبية : سيأتى حالاً.. هنا سيعقد مجلس البلاط.
بهاء : أريده قبل ذلك.
ذهبية : أهو أمر خطير؟
بهاء : نعم.
ذهبية : ما هو؟
بهاء : بعض شئون الدولة.
ذهبية : هل لى أن أعرفها.
بهاء : ستعرفينها فى حينها.
ذهبية : لم تكن تخفى شيئًا عنى.
بهاء : ولست أفعل..
ذهبية : إذًا قل لى..
بهاء : أنا متعجل يا مولاتى.
ذهبية : أصبحت تكتم عنى الأسرار يا بهاء الملك.
بهاء : لا يا مولاتى
ذهبية : أنت تكذب.. لقد تغيرت.
بهاء : بل تغير الزمن.
ذهبية : مسكين الزمن نلقى بكل شىء على كاهله.
بهاء : لقد كبرنا.
ذهبية : أحقًا؟ إننى أرى من حولى يصغرون.

بــهـــاء : آسف.. أنـا فى عـجـلـة من أمـرى. يـجب أن أذهب إلى
مولاى السلطان الآن (يسير) فتوقفه كلمات ذهبية)

ذهـبـيـة : بهاء الملك.

بــهـــاء : أمر مولاتى..

ذهـبـيـة : ألم تنس شيئًا؟

بــهـــاء : لست أفهم.

ذهـبـيـة : إنها المرة الأولى التى قابلتنى فيها، ولم تبثنى غرامك..

بــهـــاء : أنت تدرين ما فى قلبى يا مولاتى.

ذهـبـيـة : لقد تغيرت.

بــهـــاء : حبى كما هو.

ذهـبـيـة : صوتك يفتقد إلى رنة الصدق..

بــهـــاء : أنت تعرفين أننا جميعًا نحبك..

ذهـبـيـة : وأنت؟

بــهـــاء : أنا أكثرهم حبًا لك..

ذهـبـيـة : كان ذلك فيما مضى.

بــهـــاء : بل أحبك أكثر.

ذهـبـيـة : لقد صرت أستجديك كلمات الحب.

بــهـــاء : (منـفـعلاً) ومـاذا تـتـوقـعـين؟ لقـد رددت عـلى سـمـعك
كلـمـات الحب ألف مـرة احـتـرق قـلـبى بهـواك. فـمـاذا
فعلت؟ لا شىء صعرت خدك، وسعدت بتحطيم قلبى.

ذهـبـيـة : الحب عطاء.

بــهـــاء : ولقد أعطيت. وأعطيت. وأعطيت.

ولم أحظ ولا حتى بكلمة.

ذهبية : أنت لم تعط غير الكلمات.

بهاء : حبى أسطع من أن لا يرى.

ذهبية : برهن عليه.

بهاء : حبى لا يمتحن.

ذهبية : برهن عليه إن كنت صادقًا.

بهاء : مولاتى... أنت تعطليننى من أعمال الدولة.. يجب أن أقابل السلطان الآن. (بهاء يخرج. ذهبية تنتظر لحظة ثم تخرج.. من الباب الآخر يدخل المنادى والمهرج وأحمد وعدنان).

المنادى : أنا عظامى تئن.

المهرج : احكى لنا معجزة قيام أبيك من قبره.

المنادى : واحد من أولاد الحلال جاء وزعم أنه أبى، وأقر أنه حمار فتركونى وجلدوه.

المهرج : صاحبنا منصور ناله أيضًا ما لا يستحقه. لولا رشوتى للجلاد لكان يضرب حتى الآن.

عدنان : ألا ترون هذه الليلة جعلتنا أصدقاء.

أحمد : متى يبدأ مجلس البلاط. لقد ضقت بهذه اللعبة.. -

عدنان : ماذا تتوقع؟ لن يجرءوا على قبول عرض هذا هو المستحيل بعينه.

المنادى : إنهم مستعدون لأى شىء.. إلا هذا..

المهرج : لا تتسرعوا.

أحـــمـــد : الخاقان.

المـهــرج : القرار الأخير للسلطان، وهو يحب ابنته حب العبادة.

أحـــمـــد: لا يكفى أن تحب.. المهم كيف تحب.

عــدنــان : ألم تحب أبدًا.

أحـــمـــد : الا ترانى إنسانًا؟

المـهــرج : حدثنا عن ذلك.

أحـــمـــد : لا تكن سخيفًا.

المـنــادى : لنتسلى بقصتك حتى ينعقد المجلس..

أحـــمـــد : قصتى ليست للتسلية.

عــدنــان : لابد أنه حب عظيم.

أحـــمـــد : أنا لا أحب إلا حبًا عظيمًا (تدخل ذهبية دون أن يحس بها أحد).

عــدنــان : هل هى جميلة؟

أحـــمـــد : كأنها زهرة برية نبتت من الأبد، وإلى الأبد تعيش.

المـنــادى : وجهها؟

أحـــمـــد : نورانية القسمات كأنها نور الحقيقة فى ظلمة عصرنا.

المـهــرج : عيناها؟

أحـــمـــد : فيها ظمأ إلى الخير.

عــدنــان : قوامها؟

أحـــمـــد : كأنه كبرياء الكلمة الجريحة.

المـنــادى : بشرتها ناعمة؟

أحـــمـــد : كالحرير. لكنها أيضًا صلبة كالحديد.

عـدنـان : أية امرأة هذه؟

أحـمـد : لا تسأل كثيرًا..

عـدنـان : كأننى أعرفها.

المـهـرج : امرأة كهذه لابد أن يعرفها كل الناس.

المـنـادى : وتحبك؟

أحـمـد : لم أسأل نفسى هذا السؤال.. فأنا أعشق للعشق يا سادة.

المـنـادى : ألا تقول لنا من هى؟ (ينتبهون إلى وجود ذهبية فينحنون لها احترامًا).

المـهـرج : مولاتى (يتفرقون: المنادى يقف عند الباب.. المهرج خارج خشبة المسرح. أحمد ينظر إلى ذهبية وهى تنظر إليه. خلفه يقف عدنان فى حراسته).

المـنـادى : مولاى السلطان شعبان الغازى حامى المشرقين والمغربين (يدخل السلطان مكفهرًا يتجنب النظر إلى ذهبية.. ووراءه الوزير ثم يدخل برهان وعياش وفيروز. ويسود الصمت المتوتر للحظات).

بـهـاء : اليوم تنتهى سفارة أحمد الغلبان رسول التتار، ونحن جميعًا فى انتظار قراركم الحكيم يا مولاى السلطان.

السلطان : نعم.. نعم.. لم يبق سوى ساعة..

بـهـاء : بعدها يدك التتار المدينة إذا لم ترد على رسالتهم.

فـيـروز : حمى الله مدينتنا من كل شر.

سلطان : صحيح.. يجب أن نعلن قرارنا الآن.. آه.. قرارنا.

برهان : يبدو أن مولاى السلطان متعب.

سلطان : لا.. لا.. لست كذلك.. اقترب أيها الرسول لتسمع رسالتى (أحمد يقترب).

سلطان : أبلغ الخاقان إننا نشكر مسعاه للسلم، وأننا قدرنا رغبته الكريمة فى مصاهرتنا (ذهبية تجلس منهارة) لا يا ابنتى.. لا تفعلى هذا.. يجب أن تكونى سعيدة.. أى بنت تطير من الفرحة إذا زفت إلى الخاقان.. ستصيرين ملكة على الدنيا كلها.. وسنصبح نحن من جملة رعاياك. (لأحمد) هل وعيت الرسالة جيدًا أيها الشاب؟

برهان : (يقدم له رسالة) وهذه رسالة خطية ممهورة بخاتم مولانا السلطان زيادة فى التأكيد.

احمد : كنت أريد أن أقول..

بهاء : (مقاطعًا) احمل الرسالة كما هى.

فيروز: ليس على الرسول إلا البلاغ.

أحمد : لكننى لست رسولاً محترفًا.. أنا ما زلت فى مرحلة الهواية.

برهان : لسنا فى موقف يسمح بالهزل..

احمد : فى حياتى لم أكن جادًا مثلى أنا الآن.. مولاى السلطان.. أنا أعرف أن طلبى هذا يأتى فى وقت غير مناسب.. لكننى لم أجد أبدًا وقتًا مناسبًا.. أنا أطلب يد الأميرة.

سلـطـان : مجنون.

بــهـــاء : أحمق.

عـيـاش : هكذا.

بـرهـان : اضربوا عنقه، وأبلغوا الخاقان.

فــيــروز: هذا زمن اختلت فيه كل الموازين.

احــمــد : أعطونى فرصة كما أعطيتم للخاقان.

السلطان : ليس لدى وقت أضيعه مع المجانين.

عـيـاش : هـذا الولد لا يقتل إلا بالنعال.

بــهـــاء : يـا دنىء، بـنـت الـسـلـطـان لا يـتـزوجـهـا إلا رجل فى مقامها.

احــمــد : هـذه وجـهـات نـظـر.. ومع ذلك فـأمى تـرى أن مـقـامـى كبير.

بـرهـان : اقتلوه واريحونا.

فــيــروز: وماذا ستدفع لها مهرًا يا صعلوك؟

احــمــد : مـا تطلبه.. أنا لا أملك شيئًا، لكننى قادر على أن أتى لها بما تريد.

بـرهـان : يكفيه ثقل دمه لرفضه.

السلطان : يا بـنـى لـيس قـلبى خـالـيًا لـهـذه الـتـرهـات، وإلا لـكـنت ضحكت عليك أكثر مما أضحك على مهرجى.. ماذا ستفعل مع الخاقان إذا تحقق ما تريده؟

احــمــد : سأحميها منه.

عـيـاش : هكذا؟ وحدك؟

احـمـد : إلا إذا رأيتم أنه من واجبكم مؤازرة صهركم.. وأظن أن الشهامة تفرض عليكم ذلك.

بـهـاء : أرى إيداعه مستشفى المجانين.

عـيـاش : إنهم مائة ألف يا أبله.

احـمـد : بل ينقصون سبعة، قتلتهم بفأسى.

عـيـاش : هذا الشاب يريد دفعى إلى الجنون.

السلطان : إذا كنت غير قادر على حمل الرسالة، بعثنا برسول آخر..

بـرهـان : لقد أشرت منذ ثلاثة أيام بذبحه، ولقد تأخرنا فى ذلك كثيرًا.

احـمـد : تتكلمون جميعًا. ولكن لم تسألوا الأميرة؟

بـهـاء : نسألها عنك أنت يا صعلوك.

بـرهـان : لقد رفضت من هم الأفضل منا.

بـهـاء : وأعظم.

فـيـروز : وأغنى.

احـمـد : أعطونى فرصة..

فـيـروز : وهل نعطى فرصة للصوص؟

احـمـد : (للأميرة) سيدتى، أنا أعرض عليك الزواج ولا أحلم أن توافقى.. ولا أتصور أن توافقى. ولكنه الحل الوحيد لمواجهة الموقف.. سأكون خادمًا لك.. ولا أكثر من هذا.

ذهبية : قبلت.

السلطان : ماذا؟

ذهبية : قبلت عرض هذا الشاب.

برهان : هذا يوم لا يعلم إلا الله نهايته.

السلطان : لا تعقدى الأمور يا ذهبية.

بهاء : زواج الأميرة لا يخصها، بل يخص الدولة كلها.

فيروز : إن هذا الولد طامع فى ثروة الأميرة.

برهان : سادتى.. إذا كانت الأميرة تريد حماقة الزواج من صعلوك، فهذا شأنها. ولكن إذا كان هذا الزواج يهدد رقابنا جميعًا.. فهذا شأننا ولا شىء يحفظ حياتنا سوى زواجها من الخاقان، تصرف يا عياش.

عياش : (لعدنان) أيها الضابط.. اقتل هذا الرسول..

(عدنان يخرج سيفه، يقف لحظة ثم يعطيه لأحمد).

عياش : ماذا تفعل أيها المجنون.

برهان : ضباطك خونة أيها القائد.

عدنان : (لأحمد) أنتم ملاعين، ترك لى أبى قلادة وسيفًا، أخذ أحدهم القلادة وأنت تأخذ السيف.

عياش : ستعدم أيها الضابط.

عدنان : أعرف ولكن بيد من؟ (عدنان يخرج)

عياش : أتظن أنك قادر على قتالنا جميعًا..

احمد : لا أظن.. أنا متأكد يا سيدى.. فهوايتى تحدى المستحيل.

السلطان : يا بنى احفظ حياتك من أجلى. أنا لا أريد أن أرى دمك. اغمد سيفك.

احـمـد : مولاى.. الا تلاحظ أن السيف بلا غمد.

عـيـاش : (ينهض) سآتى بمن يقبض عليك.

احـمـد : لو تقدمت خطوة واحدة فسأجعل السلطان يرى دمك، وهو لا يحب الدماء.. وعلى فكرة أنا ماهر جدًا فى لعبة السيف (لذهبية) حتى أعمال المنزل لن تتعبى فيها.. أجيدها (لعياش الذى تقدم خطوة) مكانك (لذهبية) فى ليالى الصيف سآخذك فى نزهة على البحر (لعياش) لا تتقدم (للسلطان) وتستطيع يا مولاى زيارتنا يوم الجمعة.

السلطان : لم أر فى حياتى شيئًا مضحكًا كهذا.. ولكننى لا أستطيع الضحك.

(يدخل عدنان حاملاً سيفًا).

عـدنـان : أنا معك يا صاحبى.

عـيـاش : يا فرحتى.. اثنان ضد جيوش الأرض..

احـمـد : وما فيها؟ الجيش أكثر من جندى.. ونحن أيضًا أكثر من واحد.

بـرهـان : (لعياش) الا تستطيع قتل هذا الأفاق؟

السلطان : يا بنى لنتفاهم

فـيـروز : هذا الشاب يطمع فى نصف ثروة المدينة على الأقل.

السلطان : سأعطيك ما تشاء.. واترك هذا الأمر.

احـــمـــد : هل أنت قادر أيها السلطان أن تعطينى الإحساس بالسعادة وأنا أمارس حماقتى..

السلطان : (لذهبية) إنه يعترف بحماقته.. ابعدى عنه.

احـــمـــد : (لذهبية) قفى.. ورائى.. ولا تخشى شيئًا، فإن لى ألف ألف عين أرى بها ما ورائى... هل تعجبك هذه اللعبة؟

ذهـبـيـة : أنا لم أر جنونًا مثل هذا..

احـــمـــد : وهل هناك حل أمامنا سوى الجنون.. التصقى بى ونحن خارجان..

بـــرهـــان : مجموعة من الحمقى..

بـــهـــاء : رقابنا ستضيع فى لعبة.

السلطان : كفى سخافة.. سأعفو عنكم جميعًا.. ولكن دعكم من هذا.. ذهبية.. ابنتى اسمعى كلام أبيك.

ذهـبـيـة : الزوج أحق بأن يطاع.

بـــرهـــان : يحق للسماء أن تسقط على الأرض فى يوم كهذا.

عـــيـــاش : كأنى فى كابوس.

السلطان : يا بنى كن ولدًا طيبًا وكف عن الحماقة.
لا تضيعوا الوقت يا سادة.. فلم يبق إلا قليل على انتهاء السفارة.

بـــرهـــان : سفارة نحس.

فـــيـــروز : إن هذا لا يليق بهيبة السلطنة.

احـــمـــد : ورائى يا أميرتى.

عـــدنـــان : وأنا أحمى ظهرك يا صاحبى.

فـيـروز : نصف ثروتى وأفهم لماذا يحدث هذا.

عـيـاش : قف. يا أبله أتعرف ما تواجه: مئات الألوف من الجنود، قادة لم يهزموا من قبل، تيمورلنك، غابات من السيوف والحراب والسهام.

احـمـد : (مقاطعًا) أعرف لقد رأيتهم بنفسى.. ولا يحدثك مثل خبير (صوت هائل يجعلهم ينتبهون)

فـيـروز : يا ألطاف الله.

عـيـاش : لقد بدءوا.

السلطان : كارثة.

بـهـاء : ضاعت أرواحنا.

فـيـروز : ضاعت أموالنا.

عـيـاش : لابد من عمل سريع يا سادة.

بـرهـان : العقل. يجب تدبير الأمر.

السلطان : أتتركينى يا ابنتى فى وقت كهذا؟

احـمـد : أبوك يا أميرتى رجل مزعج.. لا يملك سوى الكلمات والله لولاك ما صاهرت.

(منصور يدخل مندفعًا)

مـنـصـور : إنها تعمل.. إنها تعمل.

احـمـد : الآلة العجيبة؟ يا سيدى كل العجائب تعمل الآن..

مـنـصـور : (منصور ينظر إلى ما يحدث بدهشة).
ماذا يحدث هنا؟

عـدنـان : نحاول إنقاذ الأميرة.

منصور : من الخاقان؟
عدنان : من الجميع.
منصور : وأنا معكم.
فيروز : لا شيء ينضم إلى لا شيء..
برهان : يا معتوه أمك فى حاجة إليك..
احمد : هيا إلى تلك الآلة.. سيروا خلفى.. سأخرج بكم من هنا.. فقط ثقوا بى.. حقًا أنا مغرور جدًا.. لكننى أيضًا بارع جدًا (يسيرون إلى الخارج وبينهم الأميرة الجميع فى ذهول).
بهاء : تحرك أيها القائد.. افعل شيئًا..
السلطان : لا.. توقف... إن ابنتى معهم.
بهاء : ابنتك لا تهمنا الآن.. لقد فقدناها وانتهى الأمر.
برهان : رقابنا أغلى من كل شيء.
فيروز : أصبحنا لا نساوى درهمًا (يدخل المهرج يرتدى قناع القائد فى يده سيف يلوح به).
عياش : ما هذا؟
السلطان : ليس هذا وقت الهزل يا عزة.
المهرج : دعونى أسليكم... أنتم تعساء فى حاجة إلى من يسرى عنكم..
عياش : إذا لم تبتعد عن هنا قتلتك.
المهرج : لا تكن بطلاً على حسابى يا سيدى.. فأنا أمسك بالسيف لأول مرة فى حياتى ولا شك أنك أقوى

واشجع وامهر.. ولكن السيف أحيانًا يطول عن تقدير الجاهل مثلى.

بهاء : لا تكن سخيفًا.

المهرج : شاهدونى وسترون لعبة قد تكن أمتع من كل ما قدمت لكم من قبل.

السلطان : كفى يا عزة.. لا نريد أن نرى شيئًا.

المهرج : مولاى.. لا تحرمنى من هذه اللعبة بالذات.. لن أسمح لأحد منكم بالخروج حتى ألعبها.. أموت وأعرضها عليكم.. إنها لعبتى الأخيرة... (يصعد الممثلون على المسرح فى تحية النهاية: ذهبية بين أحمد ومنصور وعدنان والمهرج.. وفى الجانب الآخر السلطان وبهاء الملك وبرهان وفيروز وعياش وشوق.. والمنادى يقف فى الوسط.

المنادى : هذا ما حدث فى مدينتنا حتى الثانى من شهر محرم (مشيرًا إلى مجموعة السلطان) هؤلاء السادة انتظروا فى مخادعهم ماذا سيحدث: هل يأتى التتار؟ هل ينجح الصعاليك حقًا فى إنقاذ الأميرة؟ هل تحدث معجزة؟ هل تحدث كارثة؟ مجرد تساؤلات قلقة.. (مشيرًا إلى مجموعة ذهبية أما هؤلاء فقد ساروا بالأميرة إلى حيث لا نعلم... لكنهم بالتأكيد ساروا فى طريق خطر.. فى كل شبر فخ، وفى كل فخ رمح، وفى

كل رمح حقد، من أراد السلام فلينضم إلى هؤلاء
مشيرًا (إلى مجموعة السلطان) ومن أراد وجع القلب
فليحمل سيفه ويتبع هؤلاء (مشيرًا إلى ذهبية...)

(ستار)

النهاية

تم بحمد الله

بلقيس فى رحلة التيه

الشخصيات

الملكة بلقيس	ملكة سبأ
آصف الراجى	رسول الملك
أحيرم النعمانى	وزير سبأ
فاتك السارى	القائد
عانى بن ساعده	الأعمى
حامد الفيروزى	شاعر سبأ
علاء الدين	القعيد
رواحة	الأم
نجية ناجى	الخاطبة
الهدهاد بن شرحبيل	ملك سبأ
المسرور جدا	قائد الحصن
جميلة	الوصيفة
المنذر بن المنذر	وزير الملك
جعفر العاصى	الضابط

افتتاحية

(مايحدث أشبه بالحلم خاصة فى الإضاءة وربما الممثلين. المكان هو قصر الهدهاد سيد سبأ . وهو جالس على عرشه يبدو كأنه بين اليقظة والنوم. يقف إلى جواره وزيره أحرم النعمانى حريصًا «على أن يسمع مولاه ما يقال. يصل هذا الحرص أحيانا» أن يعدله بيديه وهناك المنذر بن المنذر)

احـيـرم : هذا هو يا مولاى رسول الملك. جاء من طرف الأرض فى رحلة لايقدر عليها سواه. رسول الملك يا مولاى ليس مثل أى رسول. إنه الوزير الجليل المنذر بن المنذر. بالطبع سمعت عنه الكثير.

(الهدهاد يهز راسه نفياً)

احـيـرم : أنا متأكد أن مولاى سمع عن الوزير المنذر بن المنذر.

(الهدهاد يهز راسه نفياً»)

احـيـرم : لا أظن أن مولاى يفوته شىء كهذا .

(الهدهاد يبدو مصمماً» فى نفيه)

احـيـرم : ربما كان عذرك يا مولاى أن الوزير المنذر من بلاد أبعد من الخيال. لكننا هنا فى سبأ وفى غير سبأ

لسنا أبعد من بصرهم. يدهشك هذا يا مولاى.
أعرف! ولعلك تريد أن تسألنى شرحًا لما اقول. وقد
يخطر على بالك أنهم قوم من الجن. فمن غير الجن
يروننا ولانراهم. ولست قادرًا على أن أدعى أن هذا
صحيح. ولست أملك وسائل نفيه. فإذا كانوا من الجن
فهذا لايدهشنى وإذا لم يكونوا أستطيع أن اقول إنهم
يفوقون الجن قدرة...

المنـذر : يا سيد سبأ اتينا لك من اقصى الأرض فى مائه الف
أو يزيدون، لكننا لم نأت لشر، بل هكذا سفارتنا
ولاتظن يا سيد سبأ أن مائه ألف تعنى مائه ألف فهى
لدينا تزيد. فكل رجل من رجلنا بمائة. جئنا يا مولاى
نحمل هدايانا وعطايا ملكنا. كان جالسًا فى برجه
المشيد الذى لاتدخله حسره إلا بإذنه. وجاء من
يتحدث عن فتاة اسمها بلقيس. وأبدى مولانا الملك
رغبته فى أن يضيف بلقيس إلى زوجاته.

(الملك يبدو عليك الانزعاج)

المنـذر : سيد سبأ يعرف بالطبع الشرف العظيم الذى يمنحه
مولاى له ولسبأ ولبلقيس لذلك لا اتوقع اعتذارًا أو
تفكيرًا أو تلكؤًا. بل أطلب الاحتفال فورًا بالرغبة الملكية
الساميه، ولتستعد بلقيس التى أرجو أن تكون كما
وصفوها، لتصبح الزوجة المائة لمولاى الملك العظيم.

(فاصل)



(الفصل الأول)

المشهد الأول

(غرفة العرش فى قصر الهدهاد بن شرحبيل سيد سبأ. اللون الذهبى سائد دلاله على ثراء الدولة. الهدهاد يجلس على العرش لم يمد فى حلمه، لكنه مازال قلقا». إلى جوار كرسيه كرسى آخر فى نفس الحجم والفخامة، نعرف بعد أنه كرسى بلقيس، الوزير أحيرم النعمانى بين يدى الهدهاد)

الهدهاد : اشرح لى الأمر أيها الوزير أحيرم فإننى لا أكاد أفهم.

احيرم : مولاى إنها خطبة لاتقل ولاتزيد. ومولاتى الأميرة بلقيس أتاها من الخطاب ما لايمكن إحصاؤهم، من أولاد الملكوك وسادة الدنيا.

الهدهاد : لكن لم يأت أحد منهم فى مائة ألف فارس مدججين بالسلاح، هل يريدون خطبة فتاة أم غزو بلد.

احيرم : ربما كانوا يعتقدون أن هذا تكريماً للعروس.

الهدهاد : فإذًا هم يفكرون بطريقة مختلة. فى مثل هذه الأحوال وبدلا من مائة ألف فارس يرسل الناس رجلا أو اثنين أو عشرة... أو حتى مائة. ما يحدث لا أفهمه، فاشرح لى ما يحدث.

احـيـرم : كـمـا قـلـت يـا مـولاى إنـهـم يـقـدرون مـكـانـتك ومـكـانـة الأميرة، لذلك يرسلون كل هؤلاء.

الهدهاد : (مقاطعًا فى غضب) ـ سئمت هذا المنطق المعكوس، وأشم فيما يحدث رائحة كريهة لكننى لا أدرى ماذا يقصدون، فإن كنت تدرى أخبرنى وبسرعة قبل أن أجدهم بألوفهم المائة أمامى، يخطبون ابنتى وينتظرون إجابتى.

احـيـرم : ليس لدى أكثر مما وصل إليه مولاى بحكمته.

(تدخل بلقيس مع صوت حاجب يصيح): مولاتى الأميرة بلقيس

الهدهاد : أسمعت ما سمعناه.

بلقيس : وكأنها مزحة سخيفة. فالأمور لاتجرى هكذا.

الهدهاد : هذا ما أقول بالضبط. للخطبة تقاليد. وحتى فى غير بلادنا لاتختلف التقاليد فى جوهرها. ولخطبة بنات الساده تقاليد أكثر دقه. ولخطبة أميره مثل ابنتى بلقيس كما أتخيل تقاليد معقدة. أما ما يحدث الآن فهو وقاحة كأنه الزحام فى سوق السمك، والخاطب طائش متسول محتال...

بلقيس : (مقاطعة) مولاى لتكن أكثر هدوءًا.

احـيـرم : هذا بالضبط ما طلبته من مولاى. وما أعود فأطلبه منا جميعًا فمهما حدث من خروج عن المألوف يظل الحادث هو خطبة من ملك صيته فى الدنيا لأميرة

صيتها فى الدنيا. ربما يكونون قد جانبوا الكياسة أو
اللياقة قليلاً»

الهدهاد : بل كثيرًا.

احـيـرم : ولكن من يدرى ربما يكون هذا عن جهل بأعرافنا. وأرى يا مولاى ـ وكذلك يا مولاتى ـ أنه ليس أفضل من استقبال هؤلاء القوم، لنعرف منهم، وليس فقط مايريدون، بل لنعرفهم هم. فبينهم وبين بلادنا مسافات شاسعة بطول الدنيا وعرضها والمسافات تصنع الاختلاف.

الهدهاد : (مقاطعاً) ليدخلوا فأنا فضولى لأن أعرف أى شىء عنهم.

احـيـرم : (وهو يتجه إلى الباب يشير بدخولهم)

صـوت : السيد أصاف رسول الملك (وإن كان قائد جماعة إلا انه يبدو مختلفاً عنهم)

الحاجب : القائد فاتك السارى (جلف يحس بالقوة) السيدة نجية (وهى امرأة ماكرة)

(خلفهم مجموعة من الحرس تبدو عليهم الشراسة)

الهدهاد : (يشير بغضب إلى الحرسى) هل أتيتم بالمائة ألف إلى قصرى!! (آصف يشير إلى فاتك... فاتك يتردد قليلاً ثم يشير للحرس بالخروج)

آصـف : باسم ملكى وباسمى أحيى الهدهاد سيد سبأ والأميرة بلقيس. ولتسمحوا لى بأن أقدم لكم أنفسنا. القائد

فاتك السارى وله من اسمه نصيب. فلقد خاض حروباً بعدد سنوات عمره.

الهدهاد : (مقاطعاً) عرفنا أنه قائد!

آصـــف : معذرة يا مولاى.. ربما أردت الهروب من حرج الموقف بالإسهاب، على أى حال السيدة نجية....

بلقيس : وما عملها؟

آصـــف : (مصطنعاً الدهشة) أخطبة من غير امرأة؟ مولاتى تعرف أن من يصنع الخطبة من بدايتها لنهايتها دائماً امرأة..

بلقيس : فلم أتيتم فى مائة ألف..؟

آصـــف : (مندهشاً) هل أتينا فى مائة ألف؟

الهدهاد : هذا ما يقولونه.

آصـــف : أنا لم أقله.

احيرم : قالوا إنكم جئتم فى مائة ألف فارس.

آصـــف : أخطأ أحدهم العد.

الهدهاد : فأنتم لستم فى مائة ألف.

آصـــف : جئنا فى قوة كبيرة.

بلقيس : (ساخرة) لماذا إذاً كانت السيدة نجية هى التى ستقوم بكل العمل

آصـــف : نحن أيتها الأميرة مثل سور البيت، لايسكنه أحد لكنه مفيد.

الهدهاد : لاتبدو جنياً كما يقولون عنك.

آصـــف : أقالوا عنى هذا حقاً؟

الهدهاد : دعك عن هذه السخافات وحدثنا عن الخطبة.

آصـــف : هذا أهون ما فى الأمر. فمولانا الملك يريد الزواج من الأميرة...

بلقيس : هكذا ذهب مولاى إلى فراشه فحلم أن يتزوج من فتاة لم يرها ولا أظن أنه رأى أحداً رآها، فأرسل لها مائة ألف يأتون بها مكبلة بالأغلال...

آصـــف : عفواً يا أميرة. لم يطلب مولاى من أحد أن يأتى بك بالقوة...

بلقيس : إذاً أنا أملك حق الرفض.

آصـــف : طبعاً ولكنك بالتأكيد لاتحتاجين هذا الحق.

بلقيس : فإذا كنت أريده.

آصـــف : من يختار غير الأفضل.

بلقيس : فإذا كنت أريد أن أختار الأسوأ على زعم أن رفض صاحبك هو الأسوأ.

آصـــف : لا أظنك تفعلين بنفسك هذا.

بلقيس : إنى فى لهفة لهذا.

آصـــف : هذا خطير يا أميرة.

بلقيس : ياسيدى اصف ماذا يعنى الاختيار إذا لم يكن لك حق أن تختار حتى الأسوأ

آصـــف : أيتها الأميرة إن جسدى يقشعر لما أسمعه منك.

(رجفة سريعة تهز المكان. الجانب الآخر: بلقيس، الهدهاد، أحيرم يصيبهم الذهول)

الهدهاد : ماذا حدث؟

آصف : ربما كانت الدنيا تهتز لهول الخطأ.

أحيرم : وضح الأمر. هذا الرجل ومن معه من الجن.

بلقيس : هذه خرافه يريدون منا أن نصدقها.

أحيرم : أتقولين هذا يا أميرة وإنت ابنة ملك من ملوك الجن؟

الهدهاد : هذا صحيح.

بلقيس : لاتخرجوا بنا عما نحن فيه. هذا الرجل يخطبنى لملكه الذى لم يرنى، وحتى إذا رآنى فربما كنت أخالف ذوقه، ولكن هذا لايهم، فربما، كان ذوقه قادراً على تسمم كل الأجساد، القضية أنى لم أره أنا كذلك. وما سمعته عنه لايجعلنى أميل إليه، وحتى لو أصابنى العته وأحببته، سأجد بينى وبينه مائة ألف رجل يحولون بينه وبين قلبى.

آصف : هذا تسرع لايليق بأميرة حكيمة

الهدهاد : لا أظن أنكم تستطيعون إرغامنا على شىء حتى لو كان لديكم هذا الجيش فلدينا الأرض التى تدافع عن نفسها

فاتك : (يتدخل متسمعاً) لحظة!

الحاجب : القائد عانى بن ساعده من أكسيوم.

الهدهاد : فليدخل... هذا رجلنا.

(يدخل عليه آثار عراك شديد تلطخه الدماء. وقد فقد بصره)

الهدهاد : (مصدوماً) ما بك يا عانى!

عـــانى : كـانـوا جـالجـراد يـامـولاى، لاأدرى مـن أين أتـوا، ولا كم هـم. أعـملوا فيـنـا السيف وحـاربنـا كالأسـود. لـكن مـاذا نفعل. أدركت مبكرًا أننا سنلقي الهـزيمة فأردتها قتله كريمة حتي لاأكون في مكاني هـذا. لكننـى كلما قاتلتهم قالوا لـى: أنا نوفرك لتحكى لمولاك مارأيت كلما قتلت مـنهم لمسـوني بسـيوفـهم. وفـقـدت بـصـري يـامـولاى فضحكوا وقـالوا لقد رأيت مايكفى وتستطيع أن تحكى لـسـادتك دون أن تـكـون مـبـصـرًا. أدركت مـاأنـا فيه فرفضت أن أسقط سيفى وأخذت أقاتل من لاأراهم، حـتي تـكسـر الـسيف، فـأتـوا بى إلى هـنـا كـالحـمل يدفعوننى وأنا بلا قوة.

احـيـرم : هؤلاء من الجن فعلاً يامولاى.

بـلـقيس : لقد نجحت ياسيدى آصف. أردت إخافتنا وقد نجحت

آصـــف : أكون قد فشلت في مهمتى. فأنا أريد حبك يامولاى.

بـلـقيس : حتي الجن لاتستطيع إجبارى على هذا.

آصـــف : الرحلة من هنا إلى مملكتنا طويلة والزمن يغير كل شىء.

بـلـقيس : تفترض إننى وافقت.

آصـــف : ألم تفعلى؟

الهـدهـاد : أيها السادة الأميرة لم تقبل ولم ترفض. وكذلك نحن لـقد باغتونا بـأمور عدة فاتركونا الآن نتدارس الأمر بيننا.

آصـــف : لكم ساعة. فالمسيرة طويلة وعلينا أن نبدأ من الآن.

(آصف يشير بالخروج، ويتجه فاتك إلى الخارج لكن نجية تسرع إلى بلقيس تتحسسها)

بلقيس : ماهذا؟ أجننت؟!

آصف : نجية!

نجية : إنى أؤدى مهمتى. علي أي حال الشعر صحيح ولاتضع شعرًا «مستعارًا» والنهدان ليسا محشوين. والحمرة حقيقية وليست من الألوان. ونفسها رائحته طيبة.

بلقيس : أمرأة مجنونة.

نجية : أودى واجبى ياأميرة.

آصف : هيا يانجية. لاتأخذوا من وقت السادة. فالساعة تمضى سريعًا».

(يخرجون . ويكاد يخرج عانى)

الهدهاد : ابقى معنا ياعانى.

عانى : خذونى إلى ملكهم وسأخفي في ثيابي خنجرًا أقتله به.

احيرم : أظن أنه آن لنا أن نفكر بعقل فيما يحدث.

الهدهاد : لقد ارسلوا لنا رسالة تقول أنهم أقوى منا . ولقد تراخينا فلم نر في الدنيا خطرًا» حتي جثم علي صدورنا . فماذا تفعل؟

عانى : نقاتلهم.

احيرم : ألم تفعل؟ فإلى أى حال وصلنا؟

الهدهاد : لم تكن لدينا فرصة للاستعداد .

احيرم : فهل نستطيع فى ساعة

الهدهاد : نطلب منهم مهلة.

احيرم : لا أظنهم يوافقون على يوم أو أيام.. وحتى لو وافقوا ماذا نفعل فى يوم أو أيام؟

عانى : كان لابد أن نستعد لهذا.

احيرم : وكيف نستعد لخطر لانراه.

بلقيس : إذًا فخطؤنا أننا لم نكن نبصر.

عانى : ياللحظ النكد عندما كنت أرى الذبابة على بعد فرسخ لم أكن أرى، واليوم بعد أن فقدت بصرى أرى كل شىء.

بلقيس : من الواضح أننا لانمتلك خيارًا.

عانى : نموت ولانقبل ما يفرضونه علينا.

بلقيس : الأمر خاص بى.

الهدهاد : لكنك أميرة سبأ وملكتها بعدى.

بلقيس : سبأ نفسها على كف آصف. ولذلك لابد من الحيلة.

الهدهاد : وما هى الحيلة؟

بلقيس : كيف تكون كذلك إذا أفصحنا عنها.

الهدهاد : ماذا تقصدين؟

بلقيس : نقبل الخطبة.

عانى : لا!

بلقيس : الزعيق لايفيد.

الهدهاد : وتذهبين أميرة فى ركاب آصف.

بلقيس : أذهب عروساً متزينة بأغلى الجواهر. وبين قومى وحاشيتى.

الهدهاد : ثم؟
بلقيس : نترك السفينة للرياح.
الهدهاد : فإذا مزقت العواصف شراعها.
بلقيس : لن يمزق قبل الإبحار.
احيرم : أتعرف ماتريده الأميرة.
الهدهاد : وما تريده الأميرة ياوزيرنا.
احيرم : إنها تفتدى وطنها بنفسها.
بلقيس : ربما كنت محقاً «أيها الوزير لكنك أيضاً» ربما لم تدرك ما أسعى إليه .
الهدهاد : وما تسعين إليه.
بلقيس : أعرفه ولا أعرفه، لذلك لن أنطق به.
عانى : لن تذهب مولاتى.
بلقيس : بل سأذهب يا عانى.
عانى : فأنا معك!
الهدهاد : (ساخراً) أتظن أنك ستكون حارسًا كفئًا وأنت فى حالتك هذه.
احيرم : سنأخذ حرساً لكن هذا لايمنع وجود عانى بن ساعدة. لابد أن نكون حول الأميرة.
الهدهاد : نكون...؟! أتريد أن تتركنى يا أحيرم
احيرم : إذا ذهبت مع مولاتى فهذا لايعنى أننى تركتك يا مولاى.
بلقيس : ما أعجب الإنسان. لقد كانت الفكرة أبعد من النجوم وها أنا فى أقل من ساعة أؤمن أنه من الأفضل لنا

جميعًا أن نذهب إلى هؤلاء المتغطرسين. وأننا هناك
نستطيع أن نعيد الأمور إلى نصابها.

أحـيـرم : أرايتم صحة ما قلته مولاتى تفتدى وطنها بنفسها.

عـانى : أخشى أن تكون الحقيقة إننا نفتدى أنفسنا بوطننا!

(فاصل)

المشهد الثانى

(نفس المكان. الهدهاد على عرشه يقف إلى جواره أحيرم. فى الركن يقف عانى بن ساعدة فى المواجهة يقف آصف خلفه فاتك ونجية وخراسهم).

الهدهاد : أرجو أن نكون قد اهتدينا إلى الصواب.

آصف : بالطبع فعلت ياسيد سبأ. وقد آن للموكب أن يسير.

أحيرم : نحن مستعدون. وقد وافق مولاى على أن أكون فى ركبكم حتى يصل إلى ملك الدنيا فأعمل له رسالة من الهدهاد بن شر حبيل سيد سبأ

آصف : كنا نفضل أن تبقى هنا، ولكن أهلاً بكل من يأتى معنا

نجية : (متداخلة) والهدايا؟

أحيرم : وماذا عن الهدايا؟

نجية : إنها ابنة ملك تزف إلى أعظم الملوك. أتذهب كما تذهب بنات العوام.

الهدهاد : من قال هذا وماكان لكم أن تطلبوا، فنحن لانبخل على أميرتنا بكنوز الدنيا

فاتك : فمعها إذًا كنوز الدنيا.

الهدهاد : معها قافلة تجمع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من كل شىء غالٍ وثمين

فـــاتك : والذهب.

الهدهاد : حمل عشر جمال.

فـــاتك : لو جعلتها اثنى عشر.

الهدهاد : (فى ضيق) أنت جاد فيما تقول؟

آصـــف : (متدخلاً) تدخل عذرًا ياسيد سبأ. القائد فاتك يحب المساومة

(تدخل بلقيس يصحبها حراسها وجميلة جاريتها)

أحـيـرم : وهاهى الأميرة قد وصلت.

آصـــف : وآن لنا أن نرحل. ولكن ذلك سيحدث وسط موسيقى وغناء وأناشيد وزغاريد فهو حدث لن تنساه سبأ أبداً. فهاهى فتاة من فتياتها تزف إلى سيد الدنيا وملك الزمان.

أحـيـرم : بنفسى جهزت الاحتفال.

(يبدأ احتفال بالغناء والرقص والموسيقى والحرس يحملون صورة كبيرة ويخرج الجميع ماعدا الهدهاد. وفاتك وبعض حرس فاتك ويمضى وقت والصمت يسود المكان)

الهدهاد : لقد انصرفوا!

فـــاتك : أعرف!

الهدهاد : وتركوك.

فـــاتك : تخلفت عنهم

الهدهاد : لابد أن ذلك لأمر

فـــاتك : كنت أتساءل.

الهدهاد : وهل يتساءل الجندى.

فـــاتك : (مستمرًا) كيف يفكر سيد سبأ الآن؟

الهدهاد : أو يشغلك هذا حقاً؟

فـــاتك : لذلك تأخرت.

الهدهاد : (مكابراً) أنا رجل تتزوج ابنته

فـــاتك : لم أر فى حياتى رجلاً يسعد لزواج ابنته.

الهدهاد : يبدو أنك أم تر الكثيرين فى حياتك.

فـــاتك : تظن نفسك سعيداً.

الهدهاد : أحسنت. هذا ماكنت أريد قوله. فأنا فى ساعتى هذه لست على يقين من شىء

فـــاتك : لكنك لست سعيداً

الهدهاد : لست أدعى هذا.

فـــاتك : لكن هذا ما تحسه

الهدهاد : أتعرفنى أكثر من نفسى.

فـــاتك : بالطبع لأنك تكذب على نفسك

فـــاتك : هل يروقك حقاً أن أفصح عن تعاستى؟

فـــاتك : يروقنى أن أعرف الحقيقة.

الهدهاد : هل تحتاجنى لأقولها لك.

فـــاتك : لا

الهدهاد : فأنت تعرف

فـاتك : بالطبع. هبت على مملكتك عاصفة قتلت من قتلت ودمرت مادمرت وزحمت البلاد بمائة ألف فارس. واقتحمت قصرك المنيف. وانتزعت ابنتك الأميرة لتأخذها إلى آخر الدنيا. لابد أن فى قلبك مرارة شديدة

الهدهاد : بعض ماتقول صحيح

فـاتك : وعندما تهدأ العاصفة سترى الأمر واضحاً.

الهدهاد: إنى أراه كذلك الآن.

فـاتك : فتفكر فى مواجهة هذا كله.

الهدهاد : لست أفهم

فـاتك : يشير عليك أحدهم بأن ترسل جيشا خلفنا.

الهدهاد : وبينكم ابنتى.

فـاتك : تريد استعادتها.

الهدهاد : لست فاعلاً هذا

فـاتك : قد يلح عليك أحبابك ولم يعد بينهم حكيم مثل أحيرم النعمانى.

الهدهاد : بل مازالت نافعاً

(والجند ويحاصرونه)

فـاتك : أترى نفسك هكذا.

الهدهاد : أحكم البلاد باسمكم

فـاتك : صاحب الأمر يختار ولقد اخترنا غيرك.

الهدهاد : عد إلى ملكك وقل له إننى أكثر معرفة بالناس هنا

فــاتك : هو يعرف هذا.

الهدهاد : وسأكون أكثر الناس إخلاصاً له

فــاتك : إلا هذه يامولاى. فلم تكن مخلصاً لنفسك ولا لابنتك ولاأرضك فكيف تكون مخلصاً لأى شخص آخر

الهدهاد : (وهم يقتلونه) فرصة صغيرة

فــاتك : كان لديك العمر الطويل. فماذا فعلت به؟

(فاصل)

المشهد الثالث

(القافلة تسير كأنها تسير إلى الأبد. شىء من الإرهاق بدأ يصيب البعض.)

(بلقيس وحولها أحيرم الوزير، وعانى الضرير، وجعفر حارسها ونجية وجميلة جاريتها..)

بلقيس : لا أصدق أنه قد مر هذا الزمن ولم نتلق رسالة واحدة من أبى.

جعفر : ولكن اهل وصلته رسائلنا؟

احيرم : هذا سؤال ذكى. فربما لم يجبنا على رسائلنا لأنه لم يتسلمها أصلاً.

بلقيس : ولم لايحدث هذا؟

احيرم : تضيع الرسائل لأسباب مختلفة.

عانى : السؤال هو أين نحن؟ فلكى يرسل الهدهاد رسائل إلينا عليه أن يعرف أين نحن؟

احيرم : أيصعب عليه هذا؟

جعفر : صعب علينا نحن.

بلقيس : أقدر كل ماتقولون لكننى فى شوق إلى وطنى وإلى بيتى. وأريد أن أطمئن عليهم ـ وأن أطمئنهم علينا.

احـيـرم : لا مانع أن نرسل لسيد سبأ حتى لو لم يرسل لنا الرد

(يخرج القرطاس والقلم)

تفضلى أيتها الأميرة. أملى على.

عـانى : لعله من الأفضل أن أكتب أنا، فخطى أجمل.

احـيـرم : نسيت من أنت ياعانى!

عـانى : (بمرارة) نسيت ولكن لابأس من تجربتى

بلقيس : اكتب أيها الوزير.....

إلى الهدهاد بن شرحبيل من ابنته بلقيس ومن معها سلامنا وأشواقنا. وبعد مازالنا فى رحلتنا ولكننا لانعرف أين نحن....

احـيـرم : (مقاطعاً) لاأظن أنه من الخير أن نقلق سيدنا

عـانى : لكننا لانعرف فعلاً أين نحن.

بلقيس : دعكم من هذا. اكتب

نريد أن نطمئن عليكم. ونرجو أن تكتبوا لنا، وأن ترسلوا لنا مع رسولنا إليكم فهو يعرف الطريق جيداً...

جميلة : هذا أفضل

عـانى : (يبتسم سعيداً) هذا صوت جميلة.

جعفر : (متهجماً) ومافى هذا ياعانى.

عـانى : يارجل إنى أخبركم.

احـيـرم : أتظن أننا لانعرف أنه صوت جميلة؟

بلقيس : أرسلو رسالتنا مع ثقة يكون حريصاً عليها.

احـيـرم : دعوا ذلك لى.

(ويسير إلى الناحية الأخرى)

عـانـى : (هامساً) أنا لا أثق فى هذا الرجل

جـعـفـر : إنه الوزير ياعانى

عـانـى : أعرف!

جـعـفـر : وأحرص على كلام!

عـانـى : لقد سمعت خطواته تبتعد.

بـلـقـيس : أنا أيضاً لاأثق فى الرسالة. ولذلك لتكن هناك رسالة أخرى.

(الجانب الآخر حيث آصف وفاتك ونجية. وأحيرم يتقدم لهم بالرسالة)

احـيـرم : ورسالة أخرى

آصـف : مازالوا تائهين مثلنا.

فـاتك : أعرف أن هذا افضل طريق.

آصـف : فلماذا تمضى الأيام ولا نجد مانعرفه.

فـاتك : لاأظننى أخطأت. وحتى إذا كنت قد فعلت، فلماذا لاتبين لى خطاى؟

آصـف : (بدهشة) وكيف أبين لك خطاك؟

فـاتك : ألست من الجن. وفى ظنى أن الجن يعرفون ما لانعرف

آصـف : أتريد أن تحملنى مسئولية فشلك..

فـاتك : أنا لم أفشل فى شىء

نجيـــة : (متداخلة) كفى فما هو أمامنا أكبر بكثير من العروس.

احـيــرم : حكيمـة أنت يا نجيـة.. فـأنـا لاأظن أن الموقف يحتمل مـزيـداً من الـقـلق ويكفـى أننـا فـى الحـيـرة مثل جماعة سبأ، فرسائلنا لاتصل مثل رسائلهم ولا ....

فــــاتـك : (مقاطعاً) من قال إن رسائلنا لاتصل)

احـيــرم : لأنه لا رد عليها.

فـــاتـك : أتظن أن مولاى الملك. لديه الوقت ليكتب لنا رسائل.

آصــــف : (متدخلاً) دعنا من كل هـذا فنحن مقبلون على أيام لانعرف ما هى...

فـــاتـك : وهذا تعرفه بالعقل أم كجن....

(يكاد آصف يرد لولا ضجة فى الخارج: الفيروزى! الفيروزى)

(الجـانب الآخـر: بلـقـيس وعـانى وجـمـيلـة وجـعـفـر يستقبلون حامد الفيروزى)

بـلـقـيس : حامد الفيروزى شاعر سبأ فى هذا التيه؟ لماذا جئت؟ وكيف جئت؟

الفيروزى : سؤالان كل منهما أصعب من الآخر. أما كيف جئت فلقد رأيت الموكب يحملك بعيداً عن سبأ فقلت لنفسى ما أضيع سبأ من غير بلقيس.

بـلـقـيس : معنى هذا أنك رأيت أبى

الفيروزى : بـالـطـبـع رأيته. لـكـنـى لم أقل له إننى أتبـعـكم حـتـى لايستبقينى.

عـــانـى : ومتى كان ذلك؟

الفيروزى : أنت تعرف ياعانى أننى شاعر فالأيام والأرقام لدى بلا معنى.

عـــانـى : أكان ذلك بعد رحيلنا بكثير.

الفيروزى : بل فى نفس الوقت

بـلـقيس : أدركت ماتقصده ياعانى. لم يكن حامد الفيروزى فى سبأ عندما وصلتهم رسائلنا إذا كانت قد وصلت.

الفيروزى : لاأعرف شيئاً عن الرسائل، ولكنى أعرف كيف تضيع الأشياء فلقد ضيعت أنا نفسى، ولا أعرف حتى الآن أين أنا وإن كنت أعرف سعادتى لأننى وجدتكم.

(يصل إليهم آصف وفاتك وسارة وأحيرم)

آصـــف : (مشيراً إلى الفيروزى) من هذا؟

بـلـقيس : هذا حامد الفيروزى شاعر سبأ. لم يرد أن يتركنا نرحل دون أن يكون فى صحبتنا.

الفيروزى : (مشيراً» إلى آصف) ومن هذا؟

بـلـقيس : هذا آصف مبعوث الملك إلينا.

فـــاتك : (صارخاً) لانريد شعراء هنا.

آصـــف : فمن يصف الموكب العظيم عند دخوله المملكة؟ ومن يتغنى بجمال الأميرة؟

ومن يصف مولانا وعظمته وحكمته وباسه؟

فـــاتك : لا ارتاح لهذا.

آصـــف : الممالك العظيمة تحتاج إلى شعراء

فــــاتـك : (ساخراً) ممالك الجن أم ممالك الإنس

احــيــرم : (متدخلاً) أطلب من الجميع شيئاً من الحكمة، هذا الرجل شاعر زنديق يسكر طول الليل وينام طول النهار كيف تابعنا طوال هذه الرحلة الشاقة؟

فــــاتـك : ماذا تقصد؟

احــيــرم : لقد انقلب الشاعر إلى مقاتل، ولعله كان ونحن لاندرى.

آصــــف : لاأفهم ما تقصده؟

احــيــرم : حتى وأنت ملك الجن كما يقولون. هذا الرجل ياسيدى هو جاسوس الهدهاد علينا.

فــــاتـك : أعرف أنه ليس جاسوس الهدهاد.

احــيــرم : هذا أسوأ فهو جاسوس من لانعرف.

بـلـقـيس : ما بك أيها الوزير. ماهذا الذى تقوله. جاسوس الهدهاد. وأهكذا تتكلم عن ملكك وسيدك.

احــيــرم : أحيرم النعمانى لايرضى بأحد غير مولاى الملك سيداً.

بـلـقـيس : اخترت الخيانة ياأحيرم.

احــيــرم : لاتسمها خيانة. فأنا الذى أنقذتك من نصال هؤلاء القوم، وأتولى تزويجك من ملك الدنيا، وكنت أتوقع شيئاً من الامتنان والشكر.

بـلـقـيس : بئس ما فعلت يا أحيرم.

آصــــف : دعونا من هذا فنحن لايعنينا ما بينكم. وإذا كان السيد أحيرم النعمانى قد اختار أن يتخلى عن قومه،

ويلحق بنا، فهذا شأنه، ومثله يفيدون من ولائهم عبر التاريخ ولولاهم لسارت الأمور فى طرق أخرى. ولاأدرى أكنا نحب هذا أم نكرهه؟

بلقيس : الخيانة هى الخيانة!

فاتك : انتهى الأمر ولنعد إلى رحلتنا، فليس فينا من يحتمل عقاب الملك إذا غضب

(القافلة تسير)

(آصف وبلقيس)

آصف : عندما بدأت هذه الرحلة تخيلت أن تكون العروس غير ما أراك الآن.

بلقيس : وكيف تخيلت ال.... عروس!؟

آصف : سعيدة مبتهجة. تطير إلى بعلها فرحاً. فلا شىء ينقص هذا البعل مما تريده النساء: الوسامة، القوة، الثراء البأس.. لا شىء.

بلقيس : يبدو ياسيدى آصف أنك قليل الخبرة بالنساء.

آصف : هل أنا هكذا!؟

بلقيس : أو أن نساء الجن غير نساء البشر.

آصف : أنت أيضا» تتحدثين فى هذا.

بلقيس : ألست ملك الجن؟

آصف : أقلت هذا؟

بلقيس : قالوه

آصف : أخطئوا كثيراً

بلقيس : واصابوا كثيرًا

آصف : مايصدقه العامة لايصدقه غيرهم.

بلقيس : أنا نفس ابنة امرأة من الجن

آصف : (بدهشة) وكيف عرفت هذا؟

بلقيس : حكاه لى أبى.

آصف : وصدقتيه.

بلقيس : بالطبع.

آصف : فأنت لأنك نصف جنية تفرقين هل هذا جن أم انس؟

بلقيس : احترت فيك.

آصف : مديح هذا أم قدح؟

بلقيس : لو كنت ملك الجان حقاً لما قبلت أن تكون مجرد رسول لملك الإنسن.

آصف : أتتكرين الهوايات؟

بلقيس : ما أسوأها هواية الملك.

آصف : الا تحبين اللعبة؟

بلقيس : ومن لايفعل؟

آصف : أعجبتنى اللعبة.

بلقيس : أحقا»

آصف : أقصد أننى تخيلت أنها ستعجبنى

بلقيس : تبدو عليك خيبة الأمل.

آصف : أحزن لو بدت على.

بلقيس : إنى أراها

آصـــف : لأنك أبصر من الجميع.

بلقيس : هذا مديح.

آصـــف : يليق بك.

بلقيس : هل هذا من عوائد الجن؟ أن يبدءوا بالوعيد، وأن ينتهوا بالمديح.

آصـــف : ربما كان هذا من عوائد الجن وربما لم يكن. مايعنينى أننى صادق فيما أقول.

بلقيس : (مستدرجة) وأنت دائما» صادق فيما تقول.

آصـــف : لم أجرب الصدق كثيراً

بلقيس : فأنت إذًا لاتعرفه.

آصـــف : لايعرفه مثلى.

بلقيس : وأنت تكذب؟!

آصـــف : لك لغتك الخاصة، وهذا ماأحترمه. ولكن لاتسلبينا الفضل.

بلقيس : لاأريد أن أفعل ولكن ماذا تقول فى رجل أو جن لاأدرى يأتى مهدداً مراوغاً كذاباً...

آصـــف : أقول ماتقولين. ولكن إذا كنت مثلى لرأيت الدر بين الأحجار.

بلقيس : فأنت ترى نفسك حجراً بين الأحجار.

آصـــف : هذا مجرد تعبير. لكننى لاأرى نفسى كما يرانى الناس.

بلقيس : فكيف ترى نفسك؟

آصـــف : الرحلة طويلة يامولاتى، ولن تعرفى إلا فى نهاية الرحلة.

بلقيس : أيه رحلة؟

آصـــف : الرحلة!!

(وتستمر المسيرة)

(ورواحة وهى سيدة متقدمة فى السن تتابع عانى)

رواحـــة : اسمع لى ياولدى!

عـــانى : أنا لاأفعل سوى هذا .

رواحـــة : سمعت أن بينكم الأميرة بلقيس

عـــانى : ماذا تريدين من الأميرة بلقيس

رواحـــة : أريد لقاءها .

عـــانى : أتريدين خطبتها لابنك.

رواحـــة : هذا لايجوز يا ولدى

عـــانى : الجميع الآن يخطبون الأميرة بلقيس.

رواحـــة : أعرف.

عـــانى : ماذا تعرفين؟

رواحـــة : سمعت. الناس كلهم يتحدثون عن الركب العظيم. وما إن عرفت أنه ركب بلقيس بنت الهدهاد حتى تبعته لعلى ألقاها .

عـــانى : ولكن من أنت؟

رواحـــة : أنا من حيث بدأت بلقيس.

عـــانى : لست أفهم.

رواحـــة : لولاى ماكانت هنا.
عـــانى : أنت أيضاً جاسوسه للملك
رواحـــة : لم تفهمنى ياولدى.
عـــانى : بالتأكيد...
رواحـــة : لايحب بلقيس فى الدنيا مثلى.
عـــانى : كلنا نقول هذا
رواحـــة : حتى أنت.
عـــانى : مالك بى.
رواحـــة : وحتى الهدهاد نفسه
عـــانى : تطاولت.
رواحـــة : يحق لى
عـــانى : من أنت؟
رواحـــة : بدلا من كل هذه الأسئلة اذهب بى إليها
عـــانى : اخترت أفضل من يبصر الطريق.

(ويسير بها إلى بلقيس ومعها حامد الفيروزى وجميلة وجعفر)

بـلـقيس : ماذا تريدين أيتها السيدة؟
رواحـــة : كدت أسألك نفس السؤال.
بـلـقيس : هل تتوقعين أن أحتاجك فى شىء؟
رواحـــة : الجميع يحتاجون لأشياء.
بـلـقيس : وما لديك؟
رواحـــة : أتعرفين أمك؟

بلقيس : سؤال غريب.

رواحة : لكننى أعيده

بلقيس : ومن لايعرف أمى فى مشارق الدنيا ومفارقها. كانت ابنة ملك الجان تزوجها أبى وشرطت عليه ألا يسأل فيما يبدو له غريباً. وما كدت أصل إلى عامى الأول حتى جاءت كلبة وأخذتنى إلى حيث لايعلم. ولم يطق أبى ماراى فسألها فقالت له: لقد افسدت الأمر ولا رجعة لى إلى قصرك ولكن هذه الكلبة أخذت ابنتك إلى بلاد الجن لتتعلم أمور الحكم.

رواحة : وصدقت هذه القصة.

بلقيس : لدى الدليل.

رواحة : أسنان الكلبة فى كعب قدمك؟

بلقيس : صحيح.

رواحة : الا يمكن أن تكونى قد دست على زجاج مكسور

بلقيس : لاأظن هذا.

رواحة : أتذكرين بلاد الجن.

بلقيس : لا لكنى تعلمت أمور الحكم.

رواحة : ألم تفكرى أبداً فى أن أمك قد تكون امرأة بين النساء.

بلقيس : لم يقل أحد هذا.

رواحة : لأن الهدهاد أراد هذه القصة لكننى واثقة أنك لو توددت إلى بعضهم لقالوا لك الحقيقة ففيك سحر واضح.

بلقيس : ماذا تريدين. ألا يكفيك ماأنا فيه؟
رواحة : أنا أريد مساعدتك
بلقيس : وكيف؟
رواحة : أنا أمك يابلقيس.
بلقيس : ماذا؟
رواحة : أعتذر فأنا الذى أتيت بهذه المرأة
بلقيس : أتدركين ماتقولين؟
رواحة : وعلى الإثبات أليس كذلك أستطيع أن أصف لك علامات فى جسدك منذ أن كنت طفلة إذا أردت هذا أمام هذا الجمع. ولكننى دون إذنك أقدم لك هذا... (تقدم لها قرضاً)
بلقيس : هذا نصف قرطى الضائع.
رواحة : لم يكن ضائعاً فلقد اقتسمته معك بيننا شىء أو على الأصح أشياء
جعفر : (متدخلاً) لا... لقد سمعت قصة هذه المرأة همساً، وإذا لم تخذلنى ذاكرتى فاسمها.. ما اسمك ياامرأة.
رواحة : رواحة!
الفيروزى : هذا هو الاسم.
بلقيس : أليس هذا كثيرًا... أن أجد لى أماً فى هذا التيه.
رواحة : وما الغريب فى هذا وقد تخلى عنك أبوك.
بلقيس : لم يتخل.
رواحة : فماذا تسمين هذا؟

بلقيس : كانت قوة قاهرة.

رواحة : لاأعرف كيف يسلم أغلى ما لديه حتى لقوة قاهرة؟

بلقيس : ألم تفعلى إنت هذا؟

رواحة : عنقى فداك

بلقيس : النتيجة هى نفسها يسلم هو إذا كان قد سلم. وتضيعينى أنت وأساق أنا كالنعاج إلى ملك الدنيا.

رواحة : تعالوا نتحدث فأبوك وأنا أدرى الناس به لم يعرف أنه لايمكن لرجل مهما كان أن يملك الدنيا كلها. وأنى قبضة ملكة الدنيا قد تصل إلى أعناق الجميع إلا من أبى..

(آصف وفاتك ونجية)

نجية : هذا لايليق.

آصف : مالذى لايليق يانجية؟

نجية : أن نسير ونحن نشكو همومنا وننسى مولانا الملك العظيم.

آصف : نحن لاننساه.

نجية : يجب أن نتذكره دائماً

فاتك : نعم يجب أن نتذكره دائماً

آصف : وكيف؟

فاتك : بعد مسيرة كل يوم نتحدث لهؤلاء عن مآثره.

آصف : وهم متعبون.

فاتك : الواجب فوق الراحة.

نجيـــة : دعنى أنا أتحدث عن مولاى ووسامته وقوته وقدرته وفتوته وحكمته وعلمه وفراسته...

(الجانب الآخر: بلقيس، حامد الفيروزى، رواحة، عانى، جميلة، جعفر..... وهم مجتمعون فى سرية)

رواحـــة : لأنى أمرأة ضعيفة أو هكذا أبدو لن يخشوا اقترابى منه. سيكون مشغولا بالعرس.. وسيكونون أكثر انشغالاً، وفى لحظة سأضع خنجرى فى قلبه.

بلقيس : فأنت أمى! لأننى فكرت نفس الفكرة. وهذا ماجعلنى أحتمل كل الأيام القاسية. سأبدى له الود وأظهر له الفرحة بالزواج، وكل من أخاف شعبة يصدق أن النساء يحببنه. وفى اللحظة المناسبة سأطعنه بالخنجر....

عـــانى : لاتفعلها امرأة... وأين نحن؟

جميلة : وكيف تفعلها ياعانى؟

عـــانى : دلونى عليه وسأقتله.

جعفر : أنا أنسب الناس لهذا فأنا تدربت على القتال.

الفيروزى : أظننت أننى جئت لأكتب القصائد عن زواج هذا الرجل بأميرتى. لقد أتيت لأطعنه طعنة لايقوم بعدها.

رواحـــة : أتريدون رأيى؟

بلقيس : نعم ياأماه.

رواحـــة : سنكتم الأمر. وعندما نصل يطعن كل منا طعنة فلو خابت الأولى أصابت الثانية.. لن نبقى رجلاً أذلنا كل هذا الذل.

(نهاية الفصل الأول)

(الفصل الثانى)

المشهد الأول

(قسم من خيمة ممزقة تتزين فيها بلقيس ومعها جميلة. فى الخارج يتجمع عانى والفيروزى ورواحة وجعفر)

بلقيس : (أمام المرآة) وشعرة به بيضاء أخرى يا جميلة.

جميلة : لا أراها يا مولاتى.

بلقيس : عين القلق أحد بصرًا»

جميلة : مازالت مولاتى أجمل نساء الدنيا!

بلقيس : مازالت.. مازالت . ليتك لم تقوليها يا جميلة. فلقد أفصحت أنك أنت أيضًا ترين بهائى يزول فى هذه الرمال الخايبة، حيث يمضى الزمن على أحلامنا فنحس به ثقيلا بعجلاته القاسية، ولا نحس به، كما تتسرب الرمال بين الأصابع.

جميلة : الرثاء لا يليق بمولاتى!

بلقيس : فماذا يليق بها؟ يتساقط عالمى عضوا عضوا، وأنا أرقبه عاجزة إلا عن الرثاء. قبلنا العبودية وسرنا إليها. ولكن هانحن لم نصل بعد أترين؟ حتى الوصول إلى العبودية صعب. ماذا بنا؟ فيم أخطأنا؟ أكان الرضا ولم نسأل أنفسنا عما نحن فيه.

جـمـيـلـة : مولاتى لا تفعلى بنفسك هذا.

بـلـقـيس : لك كل الحق. يكفى ما يفعلونه بى. ولكن إلى متى؟

(المجموعة فى الخارج: الفيروزى ورواحه وعانى وجعفر يتحدثون)

عـــانى : دعوه لى. فقط دلونى عليه وأنا سأقتله، فأنا لا أكره شيئًا مثلما أكره الخيانة.

رواحـــة : نكون قد ضيعنا هدفنا. ما أهون أحيرم النعمانى. لماذا تهتمون به هكذا

جـعـفـر : لأنه خاننا.

الفيروزى : وصف الخيانة طويل يا ولدى فهناك من خاننا ليصعد، ومن خاننا ليربح ومن خاننا لأننا الأضعف، ومن خاننا ليتسلى ومن خاننا ولم يعرف أنه يخوننا.

عـــانى : لن ينجو بفعلته. يا جماعة نحن فى رحلة معًا مع رجل خان بلده وسيده (أحيرم يتقدم إليهم).

أحـيـرم : ماذا تقول يا عانى؟

عـــانى : أقول ما سمعته يا أحيرم

أحـيـرم : إنى....؟

عـــانى : إنك خائن؟

أحـيـرم : وأنت؟

عـــانى : اخرس. والله لأقتلك بحذائى.

أحـيـرم : ألم تهزم أمامهم؟

عـــانى : قاتلت.

احـيـرم : أيكفى هذا؟!

عـــانى : انظر إلى ما فعلته وإلى ما فعلته.

احـيـرم : نفس النتيجة.الفشل.

عـــانى : هذا خائن يستعذب خيانته

احـيـرم : أنا استعذب معرفة الحقيقة

رواحـــة : (مندفعة) ابتعد عنا يا أحيرم

احـيـرم : فإذا كننت استمتع بصحبتكم يا أم بلقيس.

جـعـفـر : أتسمتع بأن نصفك بالخيانة؟

احـيـرم : لا بالطبع فلم أكن خائنًا فى يوم من الأيام . ولقد حاولت أن أنقذ سبأ.

الفيروزى : ففعلت بنا ما نحن فيه الآن.

احـيـرم : البديل كان أسوأ.

عـــانى : أن نقتل ليت كان هذا مصيرنا.

احـيـرم : هـذا بالضبط ما أريد الإشارة إليه إنكم تعشقون أن تقتلوا بلا معنى ولا هدف.

عـــانى : نموت من أجل الوطن يا حيوان!

احـيـرم : (يكتم غضبه) انظروا إنه لا يستطيع أن يناقش دون أن يلجأ إلى قله الأدب.

الفيروزى : أغضبك أن يقول عنك أنك حيوان، ولم يغضبك أن يقول أنك خائن!؟

بـلـقـيـس : (التى أتت مع جميلة) لأنه خائن منذ الأبد. كان يقبل قدم مولاى ويطعنه فى ظهره.

احـيـرم : ولماذا أجبرنى « مولاى» على أن أقبل قدمه!
بـلـقـيس : لم يجبرك أحد على شىء أنت تطوعت لعمل هذا.
احـيـرم : ولماذا أقبله إلا إذا كان يتوق إليه.
عـانـى : أنت فعلا حيوان!
احـيـرم : أنت تجهل يا هذا من أنا؟ أنا نابغة زمانى، عرضت بضاعتى على الهدهاد فلم يلتفت إلىَّ، ركعت بين يديه فسمعنى، لكنه ولى السفهاء علىَّ قبلت يديه فقربنى منه ووضعنى بين السفهاء وكان على أن أقفز إلى الوزارة، ولم يكن هناك بد من أن أقبل قدمه ففعلت أليست هذه تؤدى إلى تلك؟
رواحـة : حقير.
احـيـرم : هذا ما أحسسته آنئذ لكننى أحسست أيضًا أن الهدهاد بن شرحبيل أحقر منى.
عـانـى : حيوان!
احـيـرم : ربما لكنك أكثر حيوانية منى.
جـعـفـر : خائن.
احـيـرم : كلكم أكبر خيانة منى.
بـلـقـيس : أحيرم أرجوك أن تتصرف.
احـيـرم : وأترك هذه المتعة.
بـلـقـيس : أتستمتع بسبك؟
احـيـرم : استمتع بإخراج أسوأ ما فيكم
(عانى يندفع إليه. فى الاتجاه الخطأ لكن جعفر يساعده خلسه)

عـــانـى : اتركونى أقتل ابن الفرطوس.

(ارتباك ضجة يقطعها حضور آصف)

آصـــف : ماذا يحدث هنا؟

(تخف الضجة ينتبه إلى بلقيس)

آصـــف : وأنت أيتها الأميرة.. أتشاركين فى هذه الضجة.

احـيـرم : إنها التى تقود الهجوم على يا سيدى.

رواحـــة : أخبر سيدك أننا أيضًا نشتمك.

احـيـرم : أرأيت يا مولاى؟

آصـــف : لا أظنكم تريدون أن تزيدوا الموقف سوءا

بـلـقـيـس : ومن الذى صنع هذا الموقف؟

آصـــف : ليس هذا وقت الحساب.

بـلـقـيـس : وقته.

آصـــف : أقترح أن نستريح الليلة.

بـلـقـيـس : ولماذا الليلة بالذات؟

آصـــف : لأن غدا يوم طويل.

بـلـقـيـس : ماذا تريد أن تقول؟

آصـــف : طلائعنا استكشفت المكان ووجدت حصنا قريبًا

بـلـقـيـس : وماذا يعنى هذا؟

آصـــف : مكانًا مريحا فيه طعام وشراب وفيه نعرف كم بقى لنا من طريق!

بـلـقـيـس : الا تعرفون كم بقى لكم؟

آصـــف : أيتها الأميرة. أرجوك أن تأخذى جماعتك من هنا.

بلقيس : (بعد لحظة تردد) هيا بنا. (ضجة) ولا كلمة (تأخذهم في اتجاه الخيمة وآصف يتجه إلى الناحية الأخرى).

رواحة : لقد اخترت أن أقتل آصف. فأنا أكره فيه هذا الخبث اللزج.

عاني : أما أنا فسأقتل أحيرم

الفيروزي : أما أنا سأقتل الملك. فالملوك لا يقتلهم إلا الشعراء

رواحة : بالكلمات؟!

الفيروزي : لا ياسيدي فمنذ أن حدث ما حدث فقدت قدرتي على نسج الكلمات ولم يبق لي إلا السيف.

(نجية تدخل من الناحية الأخرى تصيح)

نجية : أيتها الأميرة بلقيس. تذكري أنك ستحظين بشرف ليس فوقه شرف إذ تتزوجين من ملك الدنيا.

(الامتعاض يبدو على بلقيس ومن معها)

نجية : فمولاي سيد الدنيا أوسم الرجال وأكثرهم فتوة، لا قوة فوق قوته، ولا حكمة فوق حكمته.

عاني : وافقوا لي أن أقتلها مع أحيرم النعماني.

نجية : كل الفخر لك أيتها الأميرة ولآلك ولوطنك. فليس على هذه الأرض من لم تحلم بالزواج من مولاي.

(رواحة تندفع في اتجاه نجية)

رواحة : دعوني.

(يلتقيان وسط المسرح)

نجية : يحق لك أن ترقصي فرحًا.

(رواحة تمسك بها وتتعاركان)

رواحــــة : سحقًا لك ولقومك.

نجـيــة : (مستمرة) تتزوجين من أعظم الناس.

رواحــــة : زوجيه من نفسك فأنت أصلح له.

نجـيــة : أتسبين مولاى!

رواحــــة : لقد فهمت أخيرًا يا للدهشة.

(وتسقطان على الأرض)

(فاصل)

المشهد الثانى

(الحصن مكان متسع فى صدره عرض ضخم يجلس عليه المسرور جداً حاكم الحصن وإلى جواره حارس ضخم وهو يستقبل وفد التائهين يتقدمهم آصف وفاتك وخلفهم أحيرم ونجية ثم بلقيس ورواحة وجميلة وعانى والفيروزى وجعفر)

المسرور : أهلا بكم ومرحباً اسجدوا لى.

(لا أحد يتحرك)

المسرور : لماذا لا تسجدون؟!

آصف : ولماذا نفعل يا مولاى إننا تقل إننا ضيوف أعزاء.

المسرور : أعفيكم من السجود لى. لا أحب هذا . ولكن شعبى صمم على أن يسجد لى.

ولأنكم ضيوف فإنى أهبكم ما لا أهبه لغيركم. تعرفون من أنا ولا شك فأنا أمير شهير. وحاكم عظيم،، وملك يخافه البعيد والقريب. أنا المسرور جدًا نعم أنا المسرور جدًا . هذا اسمى، وبالطبع أنا أيضًا مسرور جدًا».

أعرف أنكم أتيتم من بلاد بعيدة،. ثيابكم تدل عليكم ومن خبرتى أننا هنا فى إمارة الحصن أذكى أهل

الدنيا، فإذا بعدت المسافة جاء الغباء. ولأنكم من بلاد بعيدة فإنكم بالتأكيد غاية فى الغباء، وإلا فقولوا لى لماذا تقفون مصطفين حمارًا إلى جوار حمار، وتتركون هذه الحسناء تقف فى الخلف. (تبادلوا النظرات لبذاءة المسرور الذى أشار إلى بلقيس).

تقدمى يا فتاة!

(بعد تفكير قليل تتقدم بلقيس)

أخمن أن هذه هديتكم إلىَّ، قلتم لأنفسكم إنكم ستمرون بإمارة الحصن العظمى ففكرتم فى الهدايا ربما كان الذهب معكم والطرائف وأيضًا هذه الجارية الحسناء.

بلقيس : أنا لست جارية.

المسرور : يكفينى أنك حسناء.

بلقيس : ولست هدية.

المسرور : دعى وليك يتحدث عنك.

بلقيس : لا ولى لى.

المسرور : ضائعة وجدت المكان المناسب وحصن المسرور مرفأ للتائهين فى الظلمات.

آصف : مولاى،، أخشى أنك فهمت الأمر خطأ.

المسرور : (مقاطعاً) من أذن لك بالكلام . هل أذنت لك. هل قلت شيئًا . هل أشرت لك بأصبعى. أو حتى صمت، فطمعت فى كرمى.

آصـــف : أنا حقًا أطمع فى كرمك.

المسرور : فعلتها مرة أخرى، وقاطعتنى. ماذا افعل بك؟

آصـــف : لا شىء يا مولاى.

المسرور : فعلتها لثالث مرة. وعفوى لا يحتمل هذا. لابد من عقابك ولأننى على و شك أن أكون بعلاً لهذه الجارية التى تأبى أن تكون جارية، سآخذ الرأى فى مصيرك. ما رأيك أيتها الفتاة فى عقاب هذا الرجل. هل نقتله أو نمسره على صليب أو نعلقه على عود مشنوقًا؟

بلقيس : أوافق على كل هذا.

المسرور : (مبتهجًا) أحبتنى الفتاة (لها) وكيف افعل به كل هذا فى وقت واحد؟

بلقيس : أعرف أنك بارع فى هذه الأمور.

المسرور : وفى غيرها. أنت لم تكتشفى من براعتى إلا ما يرى عند لقاء عن بعد أما عندما نلتقى ونبيت فى فراش واحد...

بلقيس : (مقاطعة) فهمتنى خطأ يا سيدى.

المسرور : (بدهشة) كيف؟

بلقيس : أنا أريد هذا السيد قتيلا مصلوبًا مشنوقًا لكننى أيضًا أتمناك هكذا.

المسرور : (ينظر حوله فى حيرة) ماذا تقولين؟! الا تعرفين من أنا؟ ألم تسمعى عنى؟

بلقيس : ألم تسمع أنت عنى؟

المسرور : ومن تكونين؟!

بلقيس : أنا بلقيس أميرة سبأ ابنة الهدهاد بن شرحبيل ملك سبأ.

المسرور : (بدهشة كبيرة) لا أصدق. هل أنا فى حلم؟ قولوا لى أيها السادة هل أنا يقظ؟ تلك الأميرة التى كانت عروس أحلامى سنوات، ونويت أن أرحل خاطبًا لها لولا خوفى من أن أذهب فينقلب علىَّ الناس. هذه المرأة الحلم أجدها أمامى فجأة ودون تعب تحت سلطانى. آمرها فتستجيب.

بلقيس : سيدى أنت تدق الباب الخطأ.

المسرور : ولماذا؟ لم يعد هناك الهدهاد بن شرحبيل حتى يرسل جيوشه لعقابنا..

بلقيس : (مقاطعة) ماذا تعنى بأنه لم يعد هناك..

المسرور : أتجهلين أم تتجاهلين؟

بلقيس : إنى أسأل يا سيدى

فاتك : (متدخلاً) اظن أنه قد آن لهذا كله أن يتوقف.

بلقيس : (بقوة) بعد أن أعرف ما يقصده بقوله هذا..

المسرور : أنا فى دهشة أنك لا تعرفين. لقد مات الهدهاد بن شرحبيل..

(انهيار بلقيس وصرخة وبكاء جميلة وبكاء رواحة وصدمة جعفر والفيروزى وعانى وحتى أحيرم)

فاتك : نحن آسفون لهذا ونريد أن نتحدث فى شىء آخر.

المسرور : أيها السيد من حق الأميرة أن تعرف ما حدث لأبيها خاصة أنه شىء بشع.
(يهم فاتك أن يتحدث فتقاطعه بلقيس).
بلقيس : أريد أن أعرف..
المسرور : لقد قتله قائد اسمه فاتك السارى أو السامرى لا أذكر...
(يلتفون جميعًا إلى فاتك)
ويقولون إنه قتله بسيفه، وأن الملك رجاه أن يبقى على حياته لكنه أغمد سيفه فى قلبه. لم يكن الهدهاد يستحق هذا.
(يلاحظ نظرات الجميع إلى فاتك).
ماذا هناك.؟
آصف : (بحدةُ) أفعلت هذا؟
فاتك : بهذا أوصانى مولاى الملك.
آصف : ولانى عليكم ولم يذكر شيئا كهذا.
فاتك : لعله لا يثق بك كما يثق بى.
نجية : (متداخلة) لا أصدق أن مولاى يأمر بشىء كهذا فيفسد علىَّ أمر الخطبة.
فاتك : ما فعلته فعلته ولا يحاسبنى أحد غير مولاى.
بلقيس : بل هناك من يحاسبك .. الدم وأنا دم أبى الذى سال، أقسم بهذا الدم وبطغيان مولاك أن نهايتك ستكون على يدى. ولو أنى انتظرت حينك ألف عام.

المسرور : من الواضح أننى أفسدت الأمور لكنه أيضًا بإمكانى أن أصلحها (يشير لحارسه الضخم).
هات لى الرجل مكبلاً بالأغلال.
(الحارس يتجه إليه).
سنحاكمه وننزل به القصاص العادل. وليس هناك أبشع مما فعل سترون مولاكم المسرور جدًا على غير ما رأيتموه حتى الآن....
(الحارس وصل إلى فاتك وما كاد يمسك به حتى يصرخ ساقطًا على الأرض وفاتك يخرج خنجرًا من قلبه).

المسرور : ماذا فعلت؟

فاتك : ما كان يجب أن أفعله بك لولا حظ هذا الرجل العاثر

آصف : أظن أنه آن لنا أن نتوقف الآن، لقد جئناك أيها السيد لأننا تهنا فى طريقنا، وأردنا أن يدلنا أحد، فضلاً عن حاجتنا إلى الطعام والشراب.

المسرور : خذوا ما تريدون.

آصف : ونأخذك معنا. هذا لصالحك أيها المسرور، فلقد تركت الهدهاد لكن يبدو أن القائد فاتك عاد إليه فقتله. ولو أنى تركتك أخشى أن يفعل بك ما فعل بالهدهاد ستأتى معنا.

المسرور : وأترك إمارتى!

آصف : انسى أمرها.. لصالحها.

بلقيس : ونمضى كما كنا .

آصف : وهل تغير شىء؟

بلقيس : حقاً لم يتغير شىء. العروس المسلوبة الفؤاد حبًا فى ملك كرية الرائحة على بعد ألف ميل قتل والدها تقربا منها . وما فى ذلك. لقد قتلوا الناس من قبل، وأغمضنا العين. وما حدث حدث والكارثة ما يحدث، وما زلنا نغمض العيون.

(فاصل)

المشهد الثالث

(القافلة تسير. وعلاء الدين المقعد فى طريقها يصرخ)

علاء الدين : ياناس.. يا خلق.. ياعالم.. !

(يأتى عانى إليه)

عانى : ما بك يا هذا؟

علاء الدين : ما تراه.

عانى : أنا لاأرى شيئًا.

علاء الدين : معذرة فأنا لم أكن أعرف.

عانى : أتخجل من أن تتمها. أنا أعمى.

علاء الدين : ربما كان حالك أفضل من حالى.

عانى : لا أظن أحدًا ينافسنى فى سوء الحال

علاء الدين : مارأيك فى شخص مبتور القدمين

عانى : (مترددًا) هذا شىء سيئ لكنك ترى على الأقل.

علاء الدين : هذا صحيح. ولكنى أضيف إلى ما قلت شيئًا.

عانى : زدنى تغريدًا أيها المجهول.

علاء الدين : لقد نسيت.

عانى : نسيت ماذا.

علاء الدين : نسيت كل شىء.

عـــانى : لست أفهم.

علاء الدين : مر بى شخص.

عـــانى : فى هذه الأرض القاحلة.

علاء الدين : حدث. وسألنى عن اسمى.

عـــانى : صحيح ما اسمك؟

علاء الدين : لم أعرفه أو لم أتذكره لا أدرى.

عـــانى : أينسى أحد اسمه؟

علاء الدين : بل نسيت كل شىء. سألنى الرجل عن أهلى وعن موطنى وعن أعمالى وفتشت فى ذاكرتى فلم أجد شيئًا.

عـــانى : أنت لاتعرف النعمة التى أنت فيها

علاء الدين : لا يا صاحبى أنا أعيش فى ظلمة كاملة لا ماضى لا ذكريات لامعرفة.

عـــانى : صاحبك أيضًا يعيش فى ظلمة كاملة.

علاء الدين : لكن لديك ذكريات.

عـــانى : أتمنى لوأفقدها.

علاء الدين : تبدو تعسًا.

عـــانى : وأنت هل تبدو سعيدًا؟

علاء الدين : لا أعرف.

عـــانى : مارأيك أن نختار لك اسمًا؟

علاء الدين : مر بى رجل وصبى فأسمانى الصبى علاء الدين.

عـــانى : لم أسمع هذا الاسم من قبل.
علاء الدين : وسألنى عن المصباح.
عـــانى : اى مصباح؟
علاء الدين : لاأعرف.. فأنا لا أتذكر.
عـــانى : وماذا ستفعل؟
علاء الدين : سأموت هنا.
عـــانى : ولماذا هنا.
علاء الدين : كيف أذهب إلى مكان آخر وأنا بلا ساقين
عـــانى : ولماذا تموت أصلاً؟
علاء الدين : لأننى لا أملك لا طعامًا ولا شرابًا.
عـــانى : لكن الناس يمرون بين الحين والحين أنت قلت هذا.
علاء الدين : لم يمر علىَّ أحد منذ ثلاثة أيام.
عـــانى : ولم تأكل ولم تشرب؟
علاء الدين : أنا قوى ياهذا رغم جسدى الضئيل هذا.
عـــانى : لا أدرى كيف أساعدك.
علاء الدين : احملنى إلى مكان يزدحم فيه الناس لعلهم يساعدونى.
عـــانى : (مفكرًا) أحملك؟
علاء الدين : (الذى رأى احيرم قادمًا) أنت وهذا الرجل الطيب.
عـــانى : اى رجل طيب؟
احـيـرم : إنه يقصدنى ياعانى.
عـــانى : (غاضبًا) هذا رجل شرير خائن للملكة ووطنه، بل خائن لنفسه.
باعنا من أجل السلطان..

احـــيـــرم :   (مقاطعًا) أى سلطان يا عانى.

عــــانــى :   وما أدرانى هل حضرت جلسة البيع؟ !

أحـــيـــرم :   لقد كنت وزير الهدهاد ابن شر حبيل..

علاء الدين :   (مندهشًا) وزيرًا !

أحـــيـــرم :   ما أطمع فيه بعد ذلك؟ أيتنازل لى المنذر بن المنذر عن الوزارة؟

عــــانــى :   لا أدرى. هذه أمور بينكم

احـــيـــرم :   لا ياعانى.. لن أعود وزيرًا مرة أخرى.

عــــانــى :   أتريدنى أن أحزن لهذا !!

احـــيـــرم :   لقد أيقظنى مقتل الهدهاد..

علاء الدين :   أقتل ؟!!

احـــيـــرم :   لقد سالمهم،ومكنهم من مطالبهم، فلماذا قتلوه؟

عــــانــى :   أتسألنى؟

احـــيـــرم :   أسأل نفسى.

علاء الدين :   فما قالت لك نفسك.

احـــيـــرم :   إن هؤلاء قوم لا وفاء لهم.

عــــانــى :   يا سلام، واكتشفت هذاوحدك؟!

احـــيـــرم :   للأسف متأخرًا.

عــــانــى :   وكنت تظن نفسك نابغه الدنيا وفلته الزمان

احـــيـــرم :   لكل جواد كبوة

عــــانــى :   قل لى يا أحيرم كيف ستقوم من هذه الكبوة.

علاء الدين :   أشركونى فيما تتحدثون فيه فأنا لا أفهم شيئًا.

احـيـرم : وما يعنيك من هذا.أنت تريد أحدًا. يحملك. ونحن نتحدث فيما هو أكبر.

عـانى : بلاء ! بلاء أن أتحدث معك يا أحيرم.

احـيـرم : لك حق لقد فعلت كل ما فعلت باقتناع تام وبمهارة رجل يروض وحوش الصحراء لكننى فجأة أصبت بالشك فتهدم كل شىء. أتعرف ما أفكر فيه؟

عـانى : لا أريد أن أعرف.

احـيـرم : أعود إلى سبأ.

عـانى : وماذا تفعل فيها؟

احـيـرم : أشم أزهارها، وأتنفس هواءها،وأمتع عينى بمغانيها

عـانى : وتشرب دماء الهدهاد التى أسلتها وتسمع قصص الموت التى كنت سببًا فيها..

احـيـرم : (مقاطعًا) اسكت يا رجل لقد كانت سبأ احن علىَّ من أهلها.

عـانى : لكنك لم تحفظها ولا أهلها.

احـيـرم : لم أكن أريد أن يعرف أحد. لكنك هاأنت تعرف يا عانى أننى فى طريقى إلى سبأ

(ويسير)

علاء الدين : إلى أين يا رجل. توقف

عـانى : دعه لعل السباع والذئاب تجتمع فى وليمة على جسده. لعله يصطدم بأفعى صليلة تنهش أمعاءه..

علاء الدين : (مقاطعه) ومن يحملنى يارجل..؟

عـانى : أنا..

علاء الدين : وحدك؟

عـــانى : وحدى.. تعال

(يحمله على كتفيه. كلاهما مبتهجاً يسير به)

عـــانى : أرأيت؟

علاء الدين : كأنى كما كنت.

عـــانى : أتتذكر؟

علاء الدين : أتخيل إلى اليمين، توقف. تقدم

(يدخل به إلى مجموعة بلقيس: رواحة التى تبكى، الفيروزى، جميلة،جعفر)

رواحـــة : لا أنكر أننى كرهته أعوامًا لكننى أيضًا أحببته أعوامًا

المسـرور : ياجماعة كفى بكاء. وأنا الأولى منكم بالبكاء،فلقد كنت بالأمس أنام على ريش النعام،وأدعوا الجارية التى تعجبنى بظفر أصبعى.الآن أعيش فى ذل الأسر، ولا أستطيع أن أنسى ذل شماتة رعيتى وهم يدعون لموتى بنظرات غير آسفة.جهلاء يعرفون أنهم لن يلقوا يومًا من أيامى وأنهم إذا كانوا قد كرهونى مرة، فسيكرهون سادتهم الجدد ألف مرة..

بـلـقيس : (لعانى) ما هذا ياعانى..

عـــانى : (ساخراً) هذا نصفى الذى يرى..

علاء الدين : أنا يا سيدتى علاء الدين. ولا أظن هذا اسمى لكننى لا أعرف غيره نسيت كل شىء. قطعت ذاكرتى مع ساقى، وحتى لاأذكر من فعلها.

بلقيس : ربما كنت أفضل حالاً منا.

عاني : أخبركم أن الخائن هرب.

الفيروزي : أحيرم؟

عاني : نعم

جعفر : إلى أين؟

عاني : قال إنه سيعود إلى سبأ

الفيروزي : وماذا يفعل في سبأ ؟

جميلة : وهل يعرف سادته شيئًا عن هروبه.

عاني : (مبتسمًا) هذا صوت جميلة.

رواحة : ليذهب أحيرم النعماني إلى حيث يذهب. كيف سننتقم للهدهاد بن شر حبيل؟

المسرور : ننتقم؟

بلقيس : هل أعلنت موافقتك على خلعك من إمارتك وأسرك؟

المسرور : لا طبعًا. ولكن كيف نفعل هذا؟

بلقيس : اقترح أنت فلقد كنت حاكمًا.

الفيروزي : يذكرني هذا بأمر مهم لم أنسه من الأمس، لكنني كنت أخشى أن أقوله. تأتيني الآن الشجاعة.

بلقيس : ماذا تقول يا فيروزي؟

الفيروزي : عرفنا بالأمس أن مولاي الهدهاد بن شرحبيل قد رحل..

رواحة : بل قتل !

بلقيس : أماه !

رواحـــة : لا يحق لنا أن نحمل البشاعة.
الفيروزى : أيا ما كانت الكلمات فلقد أصبح العرش خاليًا.
بـلـقـيس : ماذا ؟
عـــانى : ما يقوله حامدالفيروزى صحيح.
بـلـقيس : عندما نعود نرى ما يجب فعله.
الفيروزى : لاتترك هذه الأمور هكذا.
بـلـقيس : وكأنك صرت خبيرًا فى أمور السياسة يا فيروزى.
رواحـــة : الرجل يقول ما يجب علينا أن نفكر فيه..
الفيروزى : الأمر لا يحتاج إلى تفكير. فمنذ سنوات طويلة وسبأ كلها تنتظر ولاية بلقيس.. وحتى الذين أحبوا الهدهاد تطلعوا لولاية بلقيس. ظنًا منهم أنه عهد جديد تسوده المحبة بين الناس. ويسعى فيه الجميع لخير البلاد.
عـــانى : أؤكد أن هذا صحيح.
الفيروزى : فبلقيس ابنه الهدهاد شرحبيل هى ملكتنا ملكة سبأ
بـلـقـيس : ملكة بلا عرش.
رواحـــة : أنت صاحبة الحق.. والعرش كرسى يذهب ويعود.
عـــانى : من الوجب أن نتوج الملكة.
بـلـقـيس : فإذا لم يكن هناك تاج
علاء الدين : (يفتش فى ثيابه) من قال.
(يخرج شيئًا بالكاد يصلح تاجًا) ما رأيكم فى هذا؟
الفيروزى : (يأخذه) جميل ! مولاتى،الملوك هم الذين يصنعون التيجان. أما التيجان فلا تصنع ملوكًا.

رواحـــة : (تأخذ منه التاج) أنا أحق منكم بأن ألبسها التاج
(تضع التاج على راسها ـ ينحنون جميعًا لبلقيس)

بـلـقـيـس : من اليوم لا انحناء للملكة. لا عرش بل مقعد صغير لا ظلم بل عدالة لا حراس بل أصدقاء.

الفيروزى : أتقدرين على ذلك يا مولاتى؟

عـــانـى : (بحذر) تقدر! ومن غير الملكة بلقيس تقدر على هذا.

علاء الدين : تقدر طبعًا وحتى إذا لم تقدر يكفى أنها تحاول

الفيروزى : صدق علاء الدين

المسـرور : أعـرف أن مـا أقـوله لامـعنى له. فـلم أعد أميـرًا ولا حـاكـمًـا، بل هـا أنـا أسـيـر ذلـيلاً أسـاق الى حـيث لا أعـرف. لـكننـى أقـدم ولائى إلى المـلكـة بلـقيس إذا كان ولائى هذا له قيمة.

بـلـقـيـس : له قيمة كبيرة لدى.

جـعـفـر : مولاتى كلنا جنودك نتبعك قهرًا واختيارًا إلى آخر الدنيا، فارم بنا من شئت، فإذا أصبناهم كنا من تقول، وإذا فشلنا حق علينا الموت.

عـــانـى : أحسنت القول يا جعفر.

علاء الدين : أحسنت القول يا جعفر.

جـمـيـلـة : أحسنت القول يا جعفر.

عـــانـى : هذا صوت جميلة.

بـلـقـيـس : مـا توهـمت أن هـذا سيـحـدث ولـست أحب أن يـحـدث لـكننـا جـمـيعًا لابد أن نـقسم عـلى أن نـزيل الـقهـر عن

نفوسنا وعن بلادنا وعن ناسنا فإذا لم نستطع نبذل الروح فى هذا ونشعل الحرائق تهدى الطريق أمام من يأتى لينشر العدل. لعله يأتى! نقسم الا نستبدل شيئًا بالعدل ليس لنا فحسب بل للدنيا كلها.

(فاصل)

المشهد الرابع

(الرحلة)

فـــاتك : (يصيح) وقوفًا.

نجـــيــة : ماذا هناك أيها القائد؟

فـــاتك : أظن أننا وجدنا الطريق.

نجـــيــة : تظن!

فـــاتك : لا تشكك فيما أقول.

آصــــف : ولماذا أفعل؟

فـــاتك : لا أدرى. فأنا لم أستطع أن أعرف

نجـــيــة : ليس هذا وقته أيها القائد.. (تحاول أن تتذكر اسمه).

فـــاتك : فاتك. فاتك السارى يانجية. هلى نسيت اسمى؟

آصــــف : لها حق، فلقد كانت رحلة طويلة..

الفيروزى : (يأتى) ما بكم؟

آصــــف : يبدو أننا وصلنا إلى طريق.

فـــاتك : بل قل وصلنا إلى بداية الطريق.

الفيروزى : (ساخرًا) ولعلكم تطلبون منا أن نحتفل بهذه المناسبة السعيدة

آصـــف : ولم لا. أو لعلك تنشد لناقصيدة يبدو أنك شاعر بلاشعر.

الفيروزى : أنا شاعر ملأت الدنيا بشعرى لكنكم قتلتم الشعر فى قلبى.

آصـــف : لم نسمع منك شعرًا قبلنا ولامعنا.

الفيروزى : لا أحب أن تكلمنى بهذه الطريقة.

آصـــف : ماذا ستفعل أيها الشاعر هل ستهجونى بقصيدة؟

الفيروزى : بل أبارزك بسلاحك.. السيف.

آصـــف : أشفق عليك.

الفيروزى : أملك سلاحين السيف والقلب أما أنت فلا قلب لك

آصـــف : حتى لو قاتلت ستقاتل بالكلمات.

(يأتى جندى بسيفه يعطى كلا منهما واحداً)

نجـيـة : ماذا تفعلان؟ لقد أتينا لنزوج مولانا الملك من...

(تحاول ان تتذكر) ماأسمها؟

(يبدأ آصف والفيروزى فى الاستعداد للمبارزة. وعندئذ تصل بلقيس)

بلقيس : ماذا يحدث؟

الفيروزى : لن أرتاح قبل أن أقتل هذاالرجل.

بلقيس : كفى هل تقاتل أيها القائد شاعرًا.

آصـــف : هو الذى تحدانى.

بلقيس : ليس هذاوقته..

نجـيـة : نعم فنحن لابد أن نحتفل.. نحتفل. بماذا؟

(يدخل عانى يحمل سيفًا وعلى كتفيه يجلس علاء الدين يحمل سيفًا)

عـــانى : أنا الذى أتحدى هذا الفسل الأعجمى.

آصـــف : ما هذا؟

عـــانى : هـذا أنـا عـانى بن ساعـدة قـائد سبـأ وفـارسـهـا .جـرد سيفك.

علاء الدين : (عانى) إلى اليمين شبرًا .

بـلـقـيس : كفى ! لاأريد شيئًا من هذا . علينا أولاً أن نعرف ماذا سيحدث.

عـــانى : ما يحدث أننى سأقتل هذا الرجل.

علاء الدين : وأنا معه !

فـــاتك : أظن أنه علينا أن نستعد لدخول المملكة.

عـــانى : بعد أن أقتله.

علاء الدين : وأنا معه.

(يدخل أحيرم شعثًا ضعيفًا متعبًا، ويدخل معه جعفر)

فـــاتك : من؟

جـعـفـر : هذا خائنكم أحيرم.

فـــاتك : هربت منا يا أحيرم.

إحـيـرم : وعدت !

عـــانى : لا أهلا بك ولا سهلاً.

احـيـرم : لا مهرب أردت أن أعود إلى سبأ وليحدث ما يحدث. لكننى وجدت أن سبأ بعيدة بعد القمر.

عـــانى : لك أنت أما نحن عندما نعود فستكون سبأ بين
أحضاننا. فنحن لم نتركها أبدًا.

فـــاتك : لنستعد للوصول جهزوا القوات. ولترفع البيارق والصور
(جندى يدخل بصورة الملك وقد بهتت جداً) ولتعد العروس

نجـــية : (متداخلة) على هذا فالعروس.. من هى العروس؟

بلقيس : ألم تبكروا فى الإعداد. مازالت مملكتهم وهمًا لم نره
وبعد هذه الرحلة الطويلة لا ندرى إذا كانت هناك
مملكة أم أنها قصة صنعها الطغيان.

(فاصل)

المشهد الخامس

(المنذر بن المنذر يستقبلهم غاضبًا :آصف. فاتك. نجية.ومن خلفهم بلقيس ورواحة وجميلة وعانى يحمل علاء الدين والفيروزى والمسرور وجعفر).

المنذر : تأخرتم كثيرًا
فاتك : ضللنا الطريق
المنذر : أى عذر أيها القائد
فاتك : لكننا أنجزنا الكثير
المنذر : أى إنجاز وقدتأخرتم كل هذا الوقت.
فاتك : صارت سبأ لنا وصارت البلا د من سبأ إلى هنا لنا
المنذر : وبلقيس؟
فاتك : (يشير لها) ها هى يا مولاى
المنذر : (يتأملها) اصابتنى الشيخوخة يا ابنتى فلم أعد أستطيع أن أقول إذا كنت تستحقين كل ما حدث
بلقيس : ولاأدرى يا سيدى الوزير إذا كنتم تستحقون زيارتى هذه أم لا؟
نجية : (متداخلة) زيارة المملكة شرف كبير ولعل حظك يكون حسنًا وتحضرين زفافك إلى الملك

المنذر : (يبدو عليه الدهشة) ما هذا.

آصف : آثار الرحلة يا سيدى

المنذر : (يتأمله) ولقد بدت آثار الرحلة عليك أنت أيضًا

آصف : صحيح يا مولاى. ولعلك تسمح لى أن انصرف لأستريح

المنذر : لا أملك هذا الحق

آصف : أطلبه من مولاى الملك

المنذر : مولانا لم يكلم أحدًا منذ ثلاثة أعوام

(همهمة)

المنذر : لكنه فى أَحسن حال. ما زال قويًا فتيًا كما كان منذ سنين طويلة والليلة عرسه على الملكة بلقيس

(أحيرم جاء من النهاية إلى الوزير)

احيرم : لم تلتفت إلىَّ أيها الوزير الجليل

المنذر : (مندهشًا) من؟ أحيرم؟ ماذا أتى بك إلى هنا؟

احيرم : وهل لى مكان إلا إلى جوار سيدى كبير الوزراء وعمدتهم حكمة ونباهة وقوة

المنذر : (مقاطعًا ومتحدثًا إلى آصف) من الذى أتى بهذا إلى هنا..؟

آصف : صمم على الحضور يا سيدى..

فاتك : أردت أن أقطع رأسه لكن آصف منعنى

المنذر : (لآصف) كان فاتك أحكم منك

احيرم : سيدى كبير الوزراء لا تبعد سيفًا عن يمينك. فأنا خادمك وعبدك.وإذا كنت قد مهدت البلاد من سبأ

الى هنا لمولاى (الملك العظيم) فإنى قادر على أن أهيئ له أكثر

المنذر : كفى هذا الآن وهيأوا العروس للزفاف

نجية : إنى جاهزة ياسيدى ولكن ذكرنى ياسيدى باسم العروس واسم الملك.

(فاصل)

المشهد السادس

قصر الملك

(بلقيس ـ رواحة ـ جميلة ـ جعفر ـ عانى وعلاء الدين والفيروزى)

بلقيس : آن الوقت. ولن تمر هذه الليلة إلا وقد حدث ما يحكى لألف عام. فإما أن نخرج منتصرين وقد انتقمنا لما فعلوا بنا..

الفيروزى : لابد أن ننتصر...

بلقيس : وإما أن نموت جميعًا فلامعنى لحياة من الذل

عانى : هذه أيضًا لا بأس بها

بلقيس : وإما أن يلين هؤلاء القوم قناتنا، ويحولوننا إلى عبيد وإماء نسبح بحمدهم ونعمل فى خدمتهم

جعفر : لن يكون هذا أبدًا

بلقيس : لن أسأل أيا منكم ماذا سيفعل

عانى : سترين بعينيك

بلقيس : أعرف أنكم ستفعلون ما عجزنا دهرًا أن نفعله ففى هذه الرحلة التعسة اكتشفنا جميعًا أرواحنا التى ماتت. أو ظننا أنهاماتت

(يدخل المنذر)

المنذر : هيا أيتها العروس فالملك العظيم فى انتظارك

بلقيس : لحظة أيها الوزير

المنذر : ماذا تريدين؟

بلقيس : أتذهب العروس إلى بعلها؟

المنذر : لقد جئت من أقصى الدنيا

بلقيس : ولم يبقى إلا خطوات فلماذا لا يأتى الملك العظيم إلى هنا

المنذر : لايسير مولانا لمثلك

الفيروزى : حذار يا هذا فإنها ملكة سبأ
(يطعنه) فاذهب أنت وملكك إلى أسفل سافلين

المنذر : (وهو يسقط) اتقتلنى ياهذا؟

الفيروزى : لست هذا أنا حامد الفيروزى شاعر سبأ وطعنتى يا هذا هى بداية قصيدتى الجديدة

المنذر : (وقد سقط تماماً) سيقتلك مولاى العظيم

الفيروزى : إلا إذا قتلته أولاً
(يبعدون الوزير عن الطريق)

عانى : آه منك يا فيروزى.. سبقتنى إلى ما أردت أن أسبق إليه الدنيا كلها

رواحة : كفى. فقد زاد الخطر علينا ولابد من الحذر

بلقيس : حياك يا فيروزى وأدعو أن تكون الطعنة التالية لى

الفيروزى : لقد دعانا هذا التعس للدخول. ألا ندخل

بلقيس : أنا أولاً وسأذهب إلى الملك راسًا فهذه ليلته، وسأحول سوادها إلى احمرار

عـــانى : دعى السبق لى يا مولاتى وسأكون خادمًا لك طول العمر

(احيرم يأتى من الداخل منهارًا)

احـيـرم : لن تصدقوا. لن تصدقوا أحدًا

رواحـــة : ما بك؟

احـيـرم : أنا نفسى لا أصدق !

رواحـــة : ما هذا الذى لاتصدقه.

احـيـرم : أنه ليس هناك ملك

بـلـقيس : ماذا تقصد ؟

احـيـرم : لقد مات الملك

جـمـيلة : لكننا لم نسمع بكاء ولا عويلاً

عـــانى : هذا صوت جميلة !

احـيـرم : لكم حق فى ألا تصدقوا

بـلـقيس : وكيف مات الملك؟

احـيـرم : ومن يعرف لقد اقتربوا منه لأول مرة منذ زمن طويل فوجدوه ميتًا منذ زمن أطول

عـــانى : هذا غدار لا يليق بنا

(يدخل فاتك وآصف)

فـــاتك : جدت أمور علينا أن نتحدث فيها

عـــانى : (مندفعًا) إلى القتال ! إلى القتال

(تدور معركة مرتبكة بين الجميع تنتهى بقتل عانى وعلاء الدين لفاتك وبلقيس لآصف)

آصـــف : (محتضراً) تمنيت فى بداية الرحلة أن أموت بخنجرك. وفى نهايتها تمنيت أن يموت صاحبنا به وها أنا أنال أمنية قديمة وأفقد أمنية جديدة لا

عـــانى : تتوقفوا. إلى الأمام !

(فاصل)

المشهد السابع

(رحلة العودة)

بلقيس : أنا لا أصدق أنه قد أذلنا رجل ميت

الفيروزى : لأن الذل كان مزروعًافى قلوبنا

بلقيس : فى طريق عودتنا إلى سبأ والطريق طويل أين الخطأ؟

عانى : فينا طبعًا

رواحة : بل فى الهدهاد بن شرحبيل الذى نسى ما حوله وفكر فى نفسه

جعفر : كان الخطر بعيدًا بألف ميل

رواحة : ألف ميل لا تبعد الخطر

جميلة : وماذا نفعل؟

عانى : هذا صوت جميلة

بلقيس : ننام وعيوننا مفتوحة ناكل وأيدينا على سيوفنا نضحك وأبصارنا تخترق الجدران نودع اليوم ونحن ننشغل ببعدالغد و....

علاء الدين : وماذا أيتها الملكة !

بلقيس : نحرم على ملكاتنا أن يتزوجن حتى لا يطمع فيهن أحد

رواحـــة : أنت تمزحين

بلـقيس : ولم لا ؟ أخيرًا استطيع أن أمزح !

(النهاية)

منافذ بيع مكتبة الاسرة
الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم :
١١٩٤ كورنيش النيل رملة بولاق
مبني الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة - ت : ٢٥٧٧٥٣٦٧

مكتبة الحسين :
مدخل ٢ الباب الأخضر الحسين
القاهرة
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة مركز الكتاب الدولى
٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ساقية عبدالمنعم الصاوى:
الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو من
أبو الفدا القاهرة

مكتبة ٢٦ يوليو
١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة المبتديان :
١٣ ش المبتديان - السيدة زينب
أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة شريف :
٣٦ ش شريف - القاهرة
ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة ١٥ مايو :
مدينة ١٥ مايو - حلوان
خلف مبنى الجهاز
ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨

مكتبة عرابى :
٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الجيزة :
١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة
ت: ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة :
بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعى
الجيزة

مكتبة جامعة قناة السويس :
مبنى الملحق الإدارى بكلية الزراعة
الجامعة الجديدة - الإسماعيلية
ت: ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة رادوبيس :
ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة
مبنى سينما رادوبيس

مكتبة بور فؤاد :
بجوار مدخل الجامعة
ناصية ش ١١، ١٤ بورسعيد

مكتبة أكاديمية الفنون :
ش جمال الدين الأفغانى من شارع
محطة المساحة - الهرم
مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة
ت: ٣٥٨٥٠٢٩١

مكتبة أسوان :
السوق السياحى أسوان
ت: ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة الإسكندرية :
٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية
ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة أسيوط :
٦٠ ش الجمهورية - أسيوط
ت: ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٠

مكتبة الإسماعيلية :
التمليك - المرحلة الخامسة
عمارة ٦ مدخل (أ) - الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة المنيا :
١٦ ش بن خصيب - المنيا
ت: ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة) :
مبنى كلية الآداب – جامعة المنيا
المنيا

مكتبة طنطا :
ميدان الساعة – عمارة سينما أمير
طنطا
ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى :
ميدان محطة السكة الحديد
عمارة الضرائب سابقًا

مكتبة دمنهور :
ش عبدالسلام الشاذلى دمنهور

مكتبة المنصورة :
٥ ش الثورة – المنصورة
ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف :
مبنى كلية الهندسة الالكترونية
جامعة منوف



ينعم الإنسان بشعور الألفة بينه وبين المجتمع الذي يحياه ويحيا فيه، حين يفتح أفقاً أمام الحاضر والمستقبل، باستيعابه المعلوم، وإدراكه المجهول، وحين يقرأ نفسه، ويقرأ الآخرين، فكل قراءة تجدد المعرفة تحررنا من العجز أمام المشكلات، وتمنحنا طاقة الإمكان على تحسين الحياة، بأن نوظف معارفنا لكل ما هو نافع ومفيد، فالمعرفة أهم وأغنى وأقوى ما يمكن أن نمتلكه في الحياة، ففي ظلها يزدهر عقل الإنسان، ووعيه المتجدد الحضور، فتتعدد لديه الإبداعات والإنجازات، وينتج الموارد والثروة، ويصنع القوة، وتتسع أمامه كل المجالات. إن من يحسن القراءة يحسن ممارسة الحياة.
لذا، كانت وستظل دعوتي أن نقرأ للحاضر.. أن نقرأ للمستقبل.. أن نقرأ للحياة

سوزان مبارك



ISBN# 9789774204218





٢٠٠٨

١,٥٠ جنيه